موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٢)

الآداب

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com
موقع المكتبة لمرزوق بن تنباك

دار رياح للنشر والتوزيع

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٠-١٨٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٠-١٨٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الأدب لغةً	٧
الأدب اصطلاحًا	٧
تطور الكلمة مع الزمن	٨
مكانة الأدب في تراثنا العربي	١٣
الآداب الشرعية	١٩
أدب القضاء	٢٢
آداب السفر	٢٨
السفر في القرآن	٣٤
دواعي السفر وأسبابه	٣٦
الشوق والحنين	٤٧
آداب السفر الخاصة	٥٤
من وصايا السفر	٥٧
آداب المجلس	٥٩
أدب الحديث في المجالس	٦٥
أدب النوم	٧٨
أدب الزيارة	٨٢
أدب العيادة	٨٦
آداب المهن	٨٩
الفهارس	٩٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

تعددت مكارم الأخلاق وعرفها الناس وحثوا عليها ومن هذه المكـــارم الآداب وهي السلوك المقبول لدى الناس المحبب إليهم. والأدب هو رسم الجمال ورجع المشاعر والعواطف وخلاصة العقل وظل الفكر وروح الكلام. يستوطن في العقل وينمـــو في القلب، ويثير جمالاً وأحاسيس تزدان بها الحياة، ويرسم من سطورها التاريخ.

وإذا نظرنا إلى تاريخ أي أمة سادت نجد أن الأدب كان عنوان هذه الأمة وأقوى دعائمها وأجمل أركانها.

ومن الأدب تبدأ الحياة، وبه تجمل، وبالتمسك بأركانه يصبح للحياة طعم آخر، فالنفس البشرية لا تسمو إلى الكمال إلا بالأدب ولا ترنو إلى المعالي إلا بتطبيق الآداب تطبيقًا فاعلاً في نفوس الآخرين. والمجتمع الذي يضم بين جنباته مكارم الأخلاق يغـــدو مجتمعًا راقيًا إنسانيًا يعرف الخير ويدعو إليه وينبذ الشر ويحذر منه، وهذا المجتمع ينجب أبناءً يتحلون بالأدب وبالسلوك الحضاري البناء الذي يضع لبناته القويـــة في الصـــرح الشامخ الذي يمتد في عنان السماء. والعرب عرفوا الأدب منذ فجر التاريخ وقد أطلقوا كلمة الأدب على أرقى صور التعامل الإنساني، وأطلقوا على من يتحلى بذلك لقـــب الأديب.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الأدب لغة:

ذكر ابن منظور[1] أن الأدَب.. الذي يتأدب به الأديب من الناس سُمّي أدبًا لأنه يأدِب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح. وأصل الأدْب الدعاء ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مَدْعاةٌ ومأدُبة.

وأدُبْتُ أَدَبًا حسنًا وأنت أديب. والأدَبُ: أدب النفس والدَّرس. والأدبُ: الظُّرْفُ وحُسْنُ التناول. وأدَّبه فتأدب: علمّه.

الأدب اصطلاحًا:

سلوك بشري راق يسعى إليه كل ذي مروءة وهو خلاصة القيم ومكارم الأخلاق كلها، يترك أثرًا طيبًا عند ممارسته في نفس فاعله وفي نفوس الآخرين.

وهو اجتماع خصال الخير في الإنسان الذي يصون نفسه عن الخطأ والزلل، ويراعي مشاعر الناس عند مخالطتهم والتحدث إليهم.

ولهذا كان الأدب قوة فاعلة في المجتمعات البشرية لأنه يستخرج ما فيها من صور الكمال ويبعثها في النفوس الطيبة التي ترقى إلى السمو وتدفع إلى رفعة الإنسان وكماله.

وكلمة الأدب من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية والحضارة[2].

وقد اختلفت عليها معان متقاربة حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم، وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعرًا أم نثرًا.

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (١٤١٤هـ)، ص٢٠٦-٢٠٧، مادة (أدب).

[2] ضيف، شوقي: العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط٨ (١٩٦٠م)، ص٧.

www.mtenback.com

تطور الكلمة مع الزمن:

إذا رجعنا إلى العصر الجاهلي ننقب عن الكلمة فيه نجدها تجري على ألسنة الشعراء بمعنى الآدب أي الداعي إلى الطعام كما في قول طرفة[٣]:

نَحْنُ في المَشْتَاةِ نَدْعُو الجَفَلَى لاَ تَرَى الآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرْ

وليس وراء بيت طرفة أبيات أخرى تدل على أنّ الكلمة انتقلت في العصر الجاهلي من هذا المعنى الحسي إلى معنى آخر، غير أننا نجدها تُستخدم على لسان الرسول ﷺ في معنى تهذيبي وخلقي «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[٤].

والشاعر المخضرم الأعشى قد استعمل كلمة الأدب بالمعنى نفسه الذي عُرف منذ صدر الإسلام أي المعنى التهذيبي والأخلاقي حين مدح شريح بن حصين بن عمران بن السموءل[٥]:

جَرَوا على أَدَبٍ مِنِّي، بِلا نَزَقٍ وَلا إذا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بأَغْمَارِ

وذهب «نالينو» إلى أنها استخدمت في الجاهلية بمعنى السنّة وسيرة الآباء مفترضًا أنها مقلوب (دأب) فقد جمع العرب دأبا على آداب كما جمعوا بئرًا على آبار ورأيًا على آراء. ودلّوا بكلمة (دأب) بمعنى السُّنّة والسيرة ومحاسن الأخلاق والشيم وعلى ذلك يكون قول الأعشى السابق في الجاهلية بمعنى السيرة الحسنة. ويقول شوقي ضيف: إنّ مدلول الكلمة انتقل من معنى حسي وهو الدعوة إلى الطعام إلى معنى ذهني وهو الدعوة إلى المحامد والمكارم.

وفي عصر بني أمية نجد الكلمة تدور في المعنى الخلقي التهذيبي وتضيف إليه معنى ثانيًا وهو تعليمي، فقد وجدت طائفة من المعلمين تسمّى (بالمؤدّبين) تعلم أولاد

---

(٣) طرفة بن العبد: ديوانه، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص٦٥.

(٤) ابن الأثير، المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر، القاهرة (١٣١١هـ) ج١، ص٣.

(٥) الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى، تحقيق: فوزي عطوي، دار صادر (١٩٨٠م)، ص٧٠.

www.mtenback.com

الخلفاء وتلقنهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام، وأتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة الأدب أن تصبح مقابلة لكلمة العلم الذي كان يطلق على الشريعة وما يتصل بها من دراسة.

وفي العصر العباسي وجدنا المعنيين التهذيبي والتعليمي يتقابلان في استخدام الكلمة، فقد سمى ابن المقفع رسالتيه (الأدب الصغير) و (الأدب الكبير). وسمى أبو تمام الباب الثالث من ديوان الحماسة (باب الأدب)، كما ينطبق هذا على كتاب الأدب الذي صنفه ابن المعتز، وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة وما تلاهما من قرون كانت الكلمة تطلق على معرفة أشعار العرب وأخبارهم كالبيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد ثم اتسعت لتشمل كل المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان اجتماعيًا وثقافيًا حيث قال ابن سهيل الآداب عشرة فثلاثة (شهرجانية)، وثلاثة (أنوشروانية) وثلاثة (عربية)، وواحدةٌ أربت عليهن. فأما (الشهرجانية) فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج، وأما (الأنوشروانية) فالطب والهندسة والفروسية، وأما (العربية) فالشعر والنسب وأيام الناس، وأما الواحدة التي أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس وكذلك ما كان عند إخوان الصفا.

وفي عصر ابن خلدون نجد أنها أُطلِقَت على جميع المعارف الدينية وغير الدينية حيث قال: «الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف».

ومنذ القرن الثالث للهجرة نجد الكلمة تدل على السُّنن التي ينبغي أن تراعى عند طبقة خاصة من الناس وألفت في هذا المعنى كتب كثيرة مثل: أدب الكاتب، أدب النديم، أدب المعاشرة، أدب السفر. ومنذ أواسط القرن الماضي أخذت تدل على معنيين: معنى عام وهو كل ماكتب في اللغة مهما يكن موضوعه وأسلوبه سواء أكان علمًا أم فلسفة أم أدبًا خالصًا، ومعنى خاص هو الأدب الخالص وهو ما يراد به التعبير عن معنى من المعاني مع التأثير في عواطف القارئ والسامع.

www.mtenback.com

أما مصطفى صادق الرافعي فقد تتبع تاريخ تلك اللفظة (الأدب)[٦] وقال إنها تقلبت على ثلاثة أدوار لغوية وفق ثلاث حالات من أحوال التاريخ الاجتماعي، ففي العصر الجاهلي وصدر الإسلام: لم تكن معروفة إلا بما يؤخذ من معناها النفسي على حدّ تعبيره. الذي ينطوي فيه وزن الأخلاق وتقويم الطباع.. ومن هذا المعنى كان الحديث «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ويقول الرافعي: لعلّ ذلك كان توسعًا منهم في أصل مدلول الكلمة الطبيعيّ على ما كان معروفًا من أمرهم في اشتقاق اللغة وانتزاع بعضها من بعض فإنهم يقولون: أدب القوم يأدبهم أدبًا إذا دعاهم إلى طعام يتخذه. وكان يعدون القرى، والدعوة إلى الطعام من أعظم الأشياء التي يفتخرون بها وذلك لوجودهم في بادية قفراء قليلة الزاد نادرة الماء، فكان الكرم من أعظم الخلائق الصالحة، عدّوه حقيقة الأدب الطبيعي منهم وأرقى معانيه الإنسانية عندهم، ولابد أن يكون ذلك بعد أن ارتقوا في اجتماعهم واشتبكت العلائق بينهم حتى أخذت الفطرة الطبيعية تمتزج في أكثرهم بما يخالطها من صفة الاجتماع.

ثم لما جاء الإسلام ووضعت أصول الآداب اجتمعوا على أن الدين أخلاق يتخلق بها، ونشأت طبقة المعلمين في عهد الدولة الأموية حتىّ أطلق على بعض هؤلاء لفظ المؤدبين وكان هذا توسعًا ثانيًا في مدلول الكلمة لأنه اكتسب معنى علميًا إذ صار أثرًا من آثار التعليم.

ثم استفاضت الكلمة،وكانت مادة التعليم الأدبي قائمة بالرواية من الخبر والنسب والشعر واللغة، فأطلقت على كل ذلك. وهذا هو الدور الثالث في تاريخها اللغوي على حسب تقسيم الرافعي لتاريخ كلمة (الأدب).

---

[٦] الرافعي، مصطفى صادق: كتاب تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، (١٩٧٤م) ج١، ص٣١.

www.mtenback.com

وأشار إلى أن ابن خلدون قال في حدِّ الأدب: «هذا العلم لا موضوع له يُنظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ففي الإجادة في فنّي المنظوم والمنثورَ على أساليب العرب ومفاهيمهم.. وتوصل بعد ذلك إلى أن الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف.

وقد أشار ابن عبد ربه في باب الأدب من كتابه العقد الفريد إلى كلمة أسندها لعبدالله بن عباس وهي قوله: كفاك من علم الدين أن تعلم ما لم يسع جهله، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل».

ويرجح الرافعي أن القائل هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أي حفيد (ابن عباس) وقد تناقلها الرواة ونسبوها لابن عباس خطأ إذ لم تكن الكلمة قد تطورت إلى علم في عهد ابن عباس.

وبعد أن عرفت حدودُ الأدب في القرن الثاني بقيت لفظة (الأدباء) خاصة بالمؤدبين فهي لم تطلق على الكتاب والشعراء واستمرت لقبًا يطلق على أولئك إلى منتصف القرن الثالث ومن ذلك كان منشأ (حرفة الأدب) وأول من قالها الخليل بن أحمد كما جاء بالمضاف والمنسوب للثعالبي: (حرفة الأدب آفة الأدباء) لأنهم كانوا يتكسبون بالتعليم ولا يؤدبون إلا ابتغاء المنالة وذلك حقيقة معنى الحرفة على إطلاقها.

ثم جاء ابن بسّام الشاعر فجعل الحرفة نبزًا وأخرجها عن وضعها اللغوي إلى معنى مجازي غلب على حقيقتها، فأرسلها مثلاً، عندما رثى عبد الله بن المعتز فقال:

لله دَرُّك مِنْ مَيْتٍ بَمضْيَعَةٍ ... نَاهِيكَ في العِلْمِ وَالآدابِ وَالحَسَبِ

مَا فِيهِ لَوٌّ وَلا لَيْتٌ فَتُنقِصُهُ ... لَكِنَّمَا أَدْرَكَتْهُ حِرفَةُ الأَدَبِ

وهذا هو أصل الكلمة التي تعاورها الأدباء عدّها الشعراء ميراثًا دهريًا إلى اليوم ثم صارت الآداب من يومئذ تطلق أيضًا على فنون المنادمة وأصولها.

www.mtenback.com

ويعتقد الرافعي أنّ ذلك جاءها من طريق الغناء.. لأنهم كانوا يعدّون معرفة النغم وعلل الأغاني من أرقى فنون الأدب.

قال ابن خلدون: «إن الغناء في الصدر الأول كان من أجزاء هذا الفن الأدب»، وفي ذلك قال أبو القاسم إسماعيل بن أحمد الشجري:

إِنْ شِئْتَ تَعْلَمُ في الآدابِ مَنْزِلَتي وَأَنَّني قَدْ عَدَاني العِزُّ وَالنِّعَمُ

فَالطَّرْفُ وَالسَّيفُ وَالأَوْهاقُ تَشْهَدُ لِي وَالْعُودُ وَالنَّرْدُ والشَّطْرَنْجُ وَالقَلَمُ

وكل ذلك إنما كان في تاريخ البلديين على حد تعبير الرافعي. أما الأعراب فلم يجر عليهم حكم الأدب و لم يتناولوا الكلمة على اصطلاحها وإنما اتخذ بعضهم لقب الأديب يتمدّح به على جهة ما ينشأ عنه من معاني الرقة الحضرية التي تقابل في طباعهم الجفاء.. وقد أنشد - الجاحظ على لسان ابن أبي كريمة -:

وَإِنِّي عَلَى مَاكَانَ مِنْ عُنْجُهِيَّتِي وَلَوْثَةِ أَعْرَابِيَّتِي لأَدِيْبُ

و لم ينتصف القرن الرابع حتى كان لفظ (الأدباء) قد زال عن العلماء جملة وانفرد بمزيته الشعراء والكتاب.

وأصبح الأدب رمزًا أخلاقيًا يسعى إليه كل إنسان يرنو إلى الكمال في حياته.. ومطلبًا لكل حصيف.

قال شبيب بن شيبة: «اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة وزيادةٌ في العقل، وصاحبٌ في الغربة وصلة في المجلس»[٧].

وتفرعت هذه الكلمة وبلغت مداها في يومنا هذا وأصبحت مدلولاً لكل سلوك قويم.. وتفرعت إلى فروع كثيرة يصعب حصرها.. فكان أدب السفر، وأدب النوم، وأدب المجالسة، وأدب الاستماع.. إلخ.

---

[٧] الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج١، ص٣٥٢.

www.mtenback.com

وحتى صارت لفظة الأدب تدل على كل جميل مقبول في سلوك الناس وعلى الصواب في أفعالهم، وقد قال الجرجاني: «الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ»[٨].

وبلغت الكلمة تطوراً ملحوظًا في عصرنا فقسّمت العلوم إلى أدبية وعلمية وشرعية، وشملت الأقسام الأدبية الدراسات اللغوية والشعرية والتاريخ والجغرافيا وغيرها وانتشرت الكليات الأدبية في جميع الجامعات العربية لتدريس هذه العلوم، وبعضهم سماها الدراسات الإنسانية لارتباط كلمة الأدب بالإنسانية.

مكانة الأدب في تراثنا العربي:

لا نستطيع أن نحصر كلمة الأدب في تاريخنا العربي القديم، ونجعلها مادة مستقلة عن فروع العلوم الأخرى، إذ نجدها متشابكة ومتلاصقة مع أكثر العلوم، بل نجد أن كلمة الأدب في تطورها التاريخي قد استحوذت على أكثر العلوم وصارت عنوانًا مهمًا لها، فنجد المصنفين في العلوم الشرعية واللغوية والشعرية وغيرها جعلوها أم هذه العلوم وانتشرت المؤلفات التي تحمل كلمة أدب أو آداب وبلغت المئات بل الآلاف وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن البخاري سمى كتابًا له «بالأدب المفرد» وفي الجامع الصحيح بوّب «كتاب الأدب» جمع فيه أبوابًا عديدة في مكارم الأخلاق وآدابها وكذلك الإمام مسلم أفرد في جامعه الصحيح كتابًا للآداب الشرعية حذا فيها حذو البخاري.

وظهرت الكتب الأدبية بعد ذلك واتخذت من قيم العرب وسلوكهم هذا المصطلح فهناك آداب الملوك للثعالبي، وآداب المؤاكلة للغزي، وأدب الكاتب للصولي، وأدب الغرباء للأصفهاني، وأدب الدنيا والدين للماوردي، وأدب الإملاء والاستملاء

[٨] الجرجاني: التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، (١٩٧٨م)، ص ١٤.

www.mtenback.com

للسمعاني، وأدب الطبيب للرهاوي وأدب الكاتب لابن قتيبة والأدب الصغير والكبير لابن المقفع ومعجم الأدباء لياقوت الحموي وغيرها كثير من الكتب.

وعند الوقوف عند هذه الظاهرة نجد أن العرب حرصوا على تعلم الأدب وبثه في مجالسهم العلمية العديدة وحرصوا على تعلم أبنائهم هذا الفن. ولما كان لهذا الأدب مكانة في نفوسهم فقد احتاجوا إليه كما تحتاج الأبدان إلى الطعام وورّثوا لنا حكمًا وأقوالاً تحث على تعلم الأدب وتطبيقه في كل المجالات.

فليس أبلغ من قول الرسول ﷺ «أدبني ربي فاحسن تأديبي» وقول علي بن أبي طالب «الأدب كنز عند الحاجة، عون على المروءة، صاحب في المجلس، أنيس في الوحدة، تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الألباب الميتة، وينال به الطالبون ماحاولوا».

وهو كنز لا يفنى، ولا يسرق، ولا يبلى، كنز يدخر في العقول فيصرف في كل وقت بما يعود على صاحبه بالنفع والمسرة والحياة الكريمة، قد يورّث الإنسان مالاً وافرا وينتفع به أولاده بعد مماته ولكن هذا المال سرعان ما يذهب، ولو ورث الإنسان أدبًا لأولاده، فإنهم يستفيدون من هذا الأدب إفادة كبيرة، إنه ثروة عظيمة في كل زمان ومكان.

حكي أن رجلاً تكلم بين يدي المأمون فأحسن، فقال: ابن من أنت؟ قال: ابن الأدب يا أمير المؤمنين؛ قال: نعم النسب انتسبت إليه، وفي ذلك قال الشاعر[٩]:

كُنِ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكتَسِبْ أَدَبًا ... يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ

إِنَّ الفَتَى مَنْ يَقُولُ هَأَنَذَا ... لَيْسَ الفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

---

[٩] الأبشيهي، شهاب الدين، محمد بن أحمد: المستطرف، في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، (١٩٩٩) ج١، ص٨٣.

www.mtenback.com

فالأدب هو أساس المروءة والنسب، والذي يكتسب الأدب يكثر شرفه وتعز مكانته بين الناس، وقد يسودهم ويصبح أميرهم لأن الأدب جملة من الأخلاق الكريمة لا يتحلى بها إلا الشرفاء من الناس، قال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعًا، وبَعُدَ صيته وإن كان خاملاً، وساد وإن كان غريبًا، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرًا[١٠].

والأدب زينة للمرء، يظهر أثر هذه الزينة عليه فنراه واثقًا من نفسه، ينطق لسانه أجمل العبارات، ويعرف حق الناس، وتراه جميلاً في عيون الناس ينظرون إليه نظر الإعجاب والتقدير، قال الشاعر[١١]:

لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ فِي الوَرَى ... وَزِينَةُ المَرْءِ تَمامُ الأَدَبْ

قَدْ يَشْرُفُ المَرْءُ بِآدابِهِ ... فِينا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ النَّسَبْ

وعلى المرء أن يحرص على تعلم الأدب وأن يُعلِّم طلابه ذلك أو أبناءه أو من يتعامل معهم لأن تعليم الصغير الأدب مثل النبتة الصغيرة تستقيم في صغرها ويصعب بل يستحيل تقويمها في الكبر، والأدب يعود بالنفع على المعلم والمتعلم، قال أحد الأدباء «من أَدَّبَ ولده صغيرًا سُرَّ به كبيرًا، ومن عرف الأدب اكتسب به المالَ والجاهَ، وخير الخلال الأدب، وشر المقال الكذب»[١٢].

والأدب يبعد الوحشة عن الغريب إذا نزل في ديار قوم بعدوا عنه، فالأديب سرعان ما يألف الناس ويألفونه ويجد من القوم الذين حلَّ بهم من هو على شاكلته فيصبح بينهم كأحد أبنائهم وربما يتقرب منهم بأدبه وأخلاقه حتى يصبح من علية

---

[١٠] الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ج١، ص٨٣.

[١١] المصدر السابق نفسه.

[١٢] المصدر السابق، ج١، ص٨٤.

www.mtenback.com

القوم لأن من أوتي الأدب أوتي الحكمة ومن أوتي الحكمة اكتسب محبة الناس. سمع معاوية رجلاً يقول: أنا غريب، فقال: كلا: الغريب من لا أدب له[١٣]. وقد يكون سيئ الأدب غريبًا حقًا ولو كان في قومه حتى إن كان ذا مالٍ وثروة عظيمة لأنه بسوء أدبه أضاع أخلاقه ومجده وحسبه ونسبه، وفي ذلك قال عبدالملك بن صالح[١٤]:

فِي النَّاسِ قَوْمٌ أَضَاعُوا مَجْدَ أَوَّلِهِم ... مَافِي المَكَارِمِ والتَّقْوَى لَهُمْ أَرَبُ

سُوءُ التَأَدُّبِ أَرْدَاهُمْ وَأَرْذَلَهُمْ ... وَقَدْ يَزِيْنُ صَحِيحَ المَنْصِبِ الأَدَبُ

وكان يقال: أربع يسوّدان العبد: الأدب، والصدق، والعفة، والأمانة[١٥] وهي صفات لا تشترى بالمال بل تشترى بالعقل والحكمة، لأن الأدب هو رأس الأخلاق والفضيلة، ومن كان أديبًا فقد عرف القيم ومكارم الأخلاق.

قال ابن المقفع: ما نحن إلى ما نتقوّى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا إلى الأدب، الذي هو لقاح عقولنا، فإن الحبة المدفونة في الثرى لا تقدر أن تطلع زهرتها ونضارتها إلا بالماء الذي يعود إليها من مستودعها[١٦].

وفي المعنى نفسه قال الأصمعي: إن رجلاً قال لابنه: يا بنيّ الأدب دعامة أيّد الله بها الألباب، وحلية زيّن بها عواطل الأحساب فالعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته عن الأدب المخرج زهرته، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها[١٧].

---

[١٣] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٨٤.

[١٤] المصدر السابق، ج١، ٨٥.

[١٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، ج١، ص٢٥٧.

[١٦] الماوردي، علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، دار الفكر، بيروت، (١٤١٥هـ)، ص١٦٨.

[١٧] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وليست الفضيلة بتطاول البنيان، وجمال اللباس، وكثرة المراكب، والأراضي، وقد قيل: «الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراهة الدَّواب»[١٨].

وأوصى بعض الحكماء بنيه فقال: الأدب أكرم الجواهر طبيعة، وأنفسها قيمة يرفع الأحساب الوضيعة، ويفيد الرغائب الجليلة، ويعزُّ بلا عشيرة، ويكثر الأنصار بغير رزية، فالبسوهُ حُلَّة وتزينوه حِلية؛ يؤنسكم في الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة[١٩].

وطلب الأدب معروف في تراثنا العربي، وكثير من المربين أوصى بذلك لعدة أسباب ذكروها منهم شبيب بن شيبة حين قال: «اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل، ودليل على المروءة، وصاحب في الغربة، ومؤنس في الوحشة، وحلية في المجلس، ويجمع لكم القلوب المختلفة»[٢٠].

و لم تقتصر الدعوة إلى طلب الأدب على المربين والآباء بل صار مطلب الخلفاء والملوك والأمراء، فهذا عبد الملك بن مروان يخاطب بنيه بقوله: «عليكم بطلب الأدب، فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالاً، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً».

وقال الأحنف بن قيس: «رأس الأدب المنطق، ولا خير في قول إلا بفعل ولا في مالٍ إلا بجود».

وقال بزرجمهر: «ما ورَّث الآباءُ الأبناءَ شيئًا خيرًا من الأدب، لأن بالأدب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه»[٢١]. والحياة بلا أدب، كالشجرة بلا ماء، سرعان ما تموت وتصبح حطامًا تكسِّرها الفؤوس من كل جانب، والأديب كما مرّ معنا يعيش حياته ويشعر بلذتها وحلاوتها، أما سيئ الأدب فموته أفضل كما قال الشاعر[٢٢]:

---

[١٨] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٩٣.

[١٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرحه: أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج٢، ٢٣٨.

[٢٠] المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٩، والجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٣٥٢.

[٢١] المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٩.

[٢٢] المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٠.

www.mtenback.com

مَـا وَهَـبَ اللهُ لامْـرِئٍ هِبَـــةً أَفْضَـلَ مِـنْ عَقْلِـهِ وَمِـنْ أَدَبِـهْ
هُمـا حَيَـاةُ الفَتَـى فَـإِنْ فُقِـدا فَـإِنَّ فَقْـدَ الحَيَـاةِ أَحْسَـنُ بِـهْ

وقال بعض الحكماء: العقل بلا أدب، كالشجر العاقر، ومع الأدب كالشجر المثمر، وقال بعض البلغاء: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب، لأن من ساء أدبه، ضاع نسبه، ومن قلّ عقله ضل أصله. وقال بعض الأدباء: ذكّ قلبك بالأدب، كما تذكي النار بالحطب، واتخذ الأدب غنمًا، والحرص عليه حظًا، يرتجيك راغب، ويخاف صولتك راهب، ويؤمل نفعك، ويرجى عدلك وقال بعض العلماء: الأدب وسيلة إلى كل فضيلة، وذريعة إلى كل شريعة. وقال بعض الفصحاء: الأدب يستر قبيح النسب. وقال بعض الشعراء فيه:

فَمـا خَلَـقَ اللهُ مِثْـلَ العُقُـولْ وَلا اكْتَسَبَ النَّـاسُ مِثْـلَ الأَدَبْ

وأنشد الأصمعي[٢٣]:

وَإِنْ يَكُ العَقْلُ مَولُودًا فَلَسْـتُ أَرَى ذَا العَقْلِ مُسْتَغْنِيًا عَنْ حادِثِ الأَدَبِ

وعلى الوالدين والمربين أن يهتموا بأدب أولادهم منذ الصغر ليأنسوا به وينشأوا عليه فإن ذلك يسهل عليهم قبوله عند الكبر، ولأن التدرب على الأدب منذ الصغر تطبع القلوب عليه ومن تهاون في التأديب لنشئه الصغير كان عسيرًا عليه في الكبر، وفي ذلك قال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال، وتفرق البال، وقال بعض الشعراء[٢٤]:

إِنَّ الغُصُونَ إِذا قَوَّمْتَهـا اعْتَدَلَـتْ وَلا يَلِيْـنُ إِذا قَوَّمْتَـهُ الخَشَـبُ
قَدْ يَنْفَعُ الأَدَبُ الأَحْدَاثَ فِي صِغَـرٍ وَلَيْسَ يَنْفَـعُ عِنْـدَ الشَّـيْبَةِ الأَدَبُ

---

[٢٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص١٦٩.

[٢٤] المصدر السابق، ص ١٦٩.

www.mtenback.com

وقال آخر:

يَنْشُو الصَّغِيْرُ عَلَى ما كـــانَ والِـــدُهُ إنَّ الأُصُولَ عَلَيْهَا يَنْبُـــتُ الشَّـــجَرُ

وجملة القول: إن الآداب في تراثنا العربي مادة خصبة غنية بأكثر فنون العرب، والمتمكن منها أو من أكثرها كان أديبًا، يفرض احترامه على الناس، والنـــاس يحبونـــه ويجالسونه للاستفادة منه، وكان الأدب يُعدّ تأشيرة دخول لأكـــثر المجـــالس أهميـــة كمجالس الملوك والوزراء وكان الحكام قديمًا يقربون الأدباء ويكرمونهم ويجعلونهـــم مؤدبين لأولادهم لما ينطقون به من حكم وأشعار وقصص ونوادر مع تحليهم بالأخلاق الفاضلة وكانوا يمثلون بذلك مثال الأديب الأريب.

ومن اهتمام العرب بالأدب وتعلمه فقد صنفوا له الكتب وفَرعوا له الفروع.

الآداب الشرعية

عرَّف ابن القيم الآداب بقوله: «اجتماع خصال الخير في العبد، وأنـــه علـــى ثلاثة أنواع: أدب مع الله سبحانه، وأدب مع رسول الله ﷺ وشـــرعه، وأدب مـــع خلقه»[٢٥].

وفصل ابن القيم الأنواع الثلاثة ومما جاء في النوع الثالث: وأمـــا الأدب مـــع الخلق: فهو معاملتهم - على اختلاف مراتبهم - بما يليق بهم، فلكـــل مرتبـــة أدب، والمراتب لها أدب خاص، فمع الوالدين أدب خاص، وللأب منهما: أدب هو أخص بـــه ومع العالم أدب آخر، وله مع الأقران أدب يليق بهم، ومع الأجانب أدب غير أدبه مـــع أصحابه وذوي أنسه، ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته.

والتصنيف في الآداب الشرعية قديم وقد تفطن له من دوَّن سنة رسولنا الكريم فالبخاري جمع من حديث رسول الله ﷺ طائفة كبيرة من الأحاديث أسماها «كتـــاب

---

[٢٥] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين شرح منازل السائرين، مطبعة الأنصاري، دهلي، (١٣١١هـــ)، ج٢، ص٣٧٥-٣٧٦.

www.mtenback.com

الأدب»، جمع فيها الأحاديث التي ترغب في التحلي بالأدب وفعل الخير ومكارم الأخلاق مثل برّ الوالدين وصلة الرحم وطيب الكلام ومداراة الناس وستر الفواحش إلى غير ذلك من الأبواب، وبعد أن أعجبه ذلك الفن أفرد كتابًا خاصًا في الآداب الشرعية سماه «الأدب المفرد» وحذا حذوه الإمام مسلم فأفرد في جامعه الصحيح كتابًا للآداب الشرعية جمع فيها عشرات الأحاديث التي ترغب في الآداب، وجاء بعدهما الحافظ أبو داود السجستاني فجمع أحاديث الآداب، وقد بلغت خمسمئة حديث، وجاء بعده ابن حِبّان فجمع ما يزيد عن ستمئة وسبعين حديثًا في مختلف أبواب الآداب الشرعية.

وهذا يدل على أهمية الآداب التي تدعم المسيرة الشرعية في تعليم مكارم الأخلاق والقيم المثلى للناس، لأن هدف الرسالة المحمدية هو تنمية الإحساس الأخلاقي في بني البشر وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم، حتى يسعوا إليها على بصيرة، ومن هنا كان التأكيد على الثمرة الأخلاقية في كثير من العبادات حتى لا تكون طقوسًا وعبادات جافة لا روح فيها، فالآداب للعبادات كالروح للجسد، وهذه الآداب ترقى بالنفس الإنسانية وتسمو بها إلى الكمال الإنساني ويصبح وجود الإنسان ذا مغزى عميق تتجلى من خلاله القدرة الإلهية في صياغة المجتمع الفاضل.

وتطرق المؤلفون في «الآداب الشرعية» إلى جملة من الآداب الاجتماعية وهي ما لم يرد فيها نص من حيث الإقرار أو الإبطال، وتدخل في قسم المباحات وتعددت الكتب التي عالجت هذه القضايا وعدت في مرحلة ما مهمة جدًا وذلك لما رأى مؤلفوها ما آل إليه سلوك البشر فنذروا أنفسهم وأقلامهم لعلاج هذه المشكلات الخطيرة، وبرز من هؤلاء المؤلفين على سبيل المثال الإمام الترمذي في كتابه «الشمائل المحمدية» ثم الحافظ ابن أبي الدنيا الذي صنّف عددًا من الكتب التربوية الكثيرة منها «مكارم الأخلاق» و«الصمت وحفظ اللسان»، وممّن قام بأعباء هذه المهمة ابن حزم فكتب رسالة أسماها «مداراة النفوس وتهذيب الأخلاق»، ثم حذا حذوه الإمام ابن مفلح المقدسي في كتابه النفيس «الآداب الشرعية»، وقال في مقدمته: فهذا كتاب

www.mtenback.com

يشتمل على جملة كثيرة من الآداب الشرعية، والمصالح المرعية، يحتاج إلى معرفته أو معرفة كثيرٍ منه كل عالم وعابد. وقد صنف في هذا المعنى كثير من أصحابنا كأبي داود السجستاني وأبي بكر الخلال، وأبي بكر عبدالعزيز، وأبي حفص، وأبي علي بن أبي موسى، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل وغيرهم، وصنف في بعض ما يتعلق به كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء، والطب، واللباس، وغير ذلك[٢٦].

وتفرعت عن الآداب الشرعية آداب العبادات وهي سلوك وأخلاق مباحة حث الشرع على فعلها، أو هي من السنن التي فعلها الرسول ﷺ وصحابته الكرام، أو هي سلوكيات مستحبة اتفق الناس عليها لزيادة العبادات خشوعًا وكمالاً.

ففي الصلاة آداب وفي المشي إليها آداب، وكذلك في الصيام آداب يجب أن تراعى وهي استحبابات تزيد في أجر فاعلها كالسحور وتعجيل الفطر والدعاء عند الفطر وأثناء الصيام، والتحلي بالأخلاق الكريمة في هذا الشهر كالصيام عن اللغو والرفث والغيبة والنميمة وغيرها من الأمور التي حث الدين على تركها في الصيام وغيره ولكن يؤكد عليها في شهر الصوم حتى يظل المؤمن على تذكرة بفضل هذه الآداب، ففي الأثر «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابّك أحد، أو جهل عليك، فقل إني صائم، إني صائم»[٢٧].

ومن آداب الزكاة إخراجها في وقتها المحدد، وإخفاؤها، وعدم المن بها والتلطف عند دفعها لمستحقيها وغير ذلك من الآداب التي لا تخفى على عاقل.

ومن آداب الحج البعد عن الرفث، والفسوق، والجدال والصحبة الحسنة للركب، والاشتراك معهم في إعداد الطعام وغيره، وعند رمي الجمرات، لا بد للحاج أن

---

[٢٦] المقدسي، عبد الله بن محمد بن مفلح: الآداب الشرعية، حققه: شعيب الأرناؤوط وعمر الخيام، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٣، (١٤١٩هـ) ج١، ٢٧.

[٢٧] النيسابوري، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج١، ص٤٣٠..

www.mtenback.com

يكون على قدر كبير من الأدب، وذلك لشدة الموقف وزحامه ووجود الضعفاء والنساء فيجب الترفق بهم وإفساح المجال أمامهم لتأدية هذه الشعيرة، والاكتفاء برمي ما شُرع دون إيذاء الناس.

ولم يخل باب من أبواب العبادات والشرع من آداب وضعها العلماء والفقهاء لتأتي العبادة على الوجه الأكمل وكلها نابعة من السنن والمستحبات والأعراف عرفها المسلمون منذ بدء الإسلام وتمسكوا بها وحثوا عليها، ونكتفي بما ذكر سابقًا مثالاً من الآداب فالإحاطة بها كلها يستغرق مجلدات عظيمة تطرق لها المفكرون والعلماء قديمًا وحديثًا.

أدب القضاء

القضاء لغة: الحكم. قضى عليه قضيًا وقضاءً وقضيّةً[٢٨]. والقاضية: الموت. وقضى مات. وقضى عليه: قتله. وقضى وطره: أتمه وبلغه، ومنه قوله تعالى:﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[٢٩] وقضى دينه: أداه، ومناسكه: أداها. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾[٣٠] أي أديتموها فالقضاء هنا بمعنى الأداء، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾[٣١]، أي أُدّيت.

وسمي القاضي قاضيًا لأنه يمضي الأحكام، ويحكمها، أو لإ يجاب الحكم على من يجب عليه. قال تعالى داعيًا إلى الحكم بين الناس والقضاء بينهم بالعدل: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ

---

[٢٨] الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص١٧٠٨.

[٢٩] سورة الأحزاب: آية ٣٧.

[٣٠] سورة البقرة: آية ٢٠٠.

[٣١] سورة الجمعة: آية ١٠.

www.mtenback.com

بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾[٣٣].

آداب القاضي:

مسؤولية القاضي ضخمة شاقة تتجلى خطورتها في موضوع القضاء الذي هو حقوق الله، وحقوق العباد، فأي مسؤولية أكبر وأهم من تلك التي تتعرض للحكم في الدماء والأعراض والأموال، فهذا ما جعل الأتقياء من السلف يتهربون من القضاء إلا أن يكرهوا عليه.

قال ابن سيرين: «كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له وبين يديه كانون فيه نار، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه، فَسَارَّه بشيء لا ندري ما هو، فقال أبو عبيدة: ضع لي أصبعك في هذه النار! فقال له الرجل: سبحان الله! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار؟! فقال أبو عبيدة: أتبخل عليّ بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم! قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء»[٣٤].

ومن أبرز شروط من يتولى القضاء الإسلام[٣٥] فلا يجوز لكافر أن يتولى منصب القضاء بين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[٣٦]، وكذلك اشترط فيه الحرية والعقل والبلوغ والذكورة والعدالة والبصر والسّمع والعلم والكتابة والكفاية.

---

[٣٢] سورة النساء: آية ٥٨.

[٣٣] سورة النساء: آية ١٠٥.

[٣٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١ ص٦٥.

[٣٥] أبو فارس، محمد عبد القادر: القضاء في الإسلام. مكتبة الأقصى، عمان، ط١، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص٣٢

[٣٦] سورة النساء: الآية ١٤١.

www.mtenback.com

ومن الآداب التي يجب على القاضي أن يراعيها اختيار الوقت المناسب للقضاء، الذي يكون فيه مطمئن القلب، هادئ النفس، فلا يحكم بين المتخاصمين وهو غضبان، لأن الغضب يدهشه ويذهله عن التأمل ودقة النظر والتفكير في القضاء.

كما يجب على القاضي ألا يأخذ الرشوة، لأنها حرام. وأن يمتنع عن أخذ الهدايا من الناس الذين يقعون تحت دائرته القضائية لورود التهمة عليه، ولأنها بمعنى الرشوة، فهي تهدى للقاضي حتى يميل بهواه عن الحق ليرضي أهواء الذين قدموا له الهدايا.

وعلى القاضي ألا يفرق بين المتخاصمين مهما كانا ولا يخص أحدهما عن الآخر ولو بأدنى الأشياء التي ربما لاتخطر على بال ومن ذلك ماذكرته كتب الأدب أن رجلاً ادعى على علي بن أبي طالب عند عمر رضي الله عنهما وعليٌّ جالسٌ، فالتفت عمر إليه وقال: يا أبا الحسن، قم فاجلس مع خصمك، فتناظرا، وانصرف الرجل ورجع علي إلى مجلسه؛ فتبين لعمر التغيُّر في وجه علي، فقال: يا أبا الحسن، مالي أراك متغيرًا، أكرهت ما كان؟ قال: نعم، قال وماذاك؟ قال: كنيتني بحضرة خصمي، هلاَّ قلت: يا عليُّ، قم فاجلسْ مع خصمك؟ فأخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما، فقبله بين عينيه؛ ثم قال: بأبي أنتم، بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور[٣٧].

وينبغي على القاضي أن يتفرغ للقضاء ولا ينشغل بعمل آخر كالتجارة وغيرها، فإن ذلك يقعده عن البحث والتأمل في قضايا الناس. كما ينبغي عليه أن يساوي بين الخصمين في مجلسه، ولحظه، وإشارته وكلامه، وهذا مقتضى العدل والإنصاف والنزاهة في الحكم. فقد ورد في رسالة عمر بن الخطاب - إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - قوله:«آس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك».[٣٨]

---

[٣٧] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٣١٣.

[٣٨] الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير اليمني: سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١١، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج٤ ص٢٢٩-٢٣٠.

www.mtenback.com

فعلى القاضي ألا يميل إلى أحد الخصمين بدافع من حب أو منعة، أو مظهر خارجي كحسن المنظر أو الثياب وخصوصًا اللسان [٣٩] فيجب عليه أن يحترز من ذلك وإلا كانِ خصمًا، كما قال الشاعر[٤٠]:

وَالْخَصْمُ لاَ يُرْتَجَى النَّجَاةُ لَهُ ... يَومًا إِذا كَانَ خَصْمُهُ القَاضِي

وقد يميل القاضي بسبب ممّا ذكرنا، وقد يتهم بالميل وإن لم يفعل. قال الهيثم بن عدي: «تقدمت كُلثُم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد على عبد الملك بن عمير وهو قاضي الكوفة، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمى بها فقضى لها، فقال هذيل الأشجعي:

أَتَاهُ رَفِيقٌ بِالشُّهُودِ يَسُوقُهُمْ ... عَلَى مَا ادَّعَتْ مِنْ صَامِتِ الْمَالِ وَالْخَوَلْ

فَأَدْلَى وَلِيدٌ عِنْدَ ذَاكَ بِحَقِّهِ ... وَكَانَ وَلِيدٌ ذَا مِرَاءٍ وَذَا جَدَلْ

فَفَتَّنَتِ الْقِبْطِيَّ حَتَّى قَضَى لَهَا ... بِغَيْرِ قَضَاءِ اللهِ فِي السُّورِ الطِّوَلْ

فَلَو كَانَ مَنْ فِي الْقَصْرِ يَعْلَمُ عِلْمَهُ ... لَمَا اسْتَعْمَلَ القِبْطِيَّ فِينا عَلَى عَمَلْ

لَهُ حِينَ يَقْضِي لِلنِّسَاءِ تَخَاوُصٌ ... وَكَانَ وَمَا مِنْهُ التَّخَاوُصُ وَالْحَوَلْ

إِذَا ذَاتُ دَلٍّ كَلَّمَتْهُ لِحَاجَةٍ ... فَهَمَّ بِأَنْ يَقْضِي تَنَحْنَحَ أَوْ سَعَلْ

فكان عبد الملك بن عمير يقول: والله لربما جاءتني السعلة أو التنحنح وأنا في المتوضأ فأكف عن ذلك[٤١].

---

[٣٩] أمين، أحمد: كتاب الأخلاق، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٦٩م ص٢٢٠.

[٤٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١ ص ٧٠.

[٤١] المصدر السابق، ج١، ص٦٣.

www.mtenback.com

ومن أخبار الشعبي عامر بن شراحيل القاضي أنه دخل عليه رجل في مجلس القضاء، ومعه امرأة من أجمل نساء وقتها، فاختصما إليه فأدلت المرأة بحجتها، وقرّبت بينتها، فقال للزوج: هل عندك من مدفع؟ فأنشأ يقول[٤٢]:

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا ... رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

فَتَنَتْهُ بِدَلالٍ ... وَبِخَطَّيْ حاجِبَيْهَا

قَالَ لِلْجلْواز قَرِّبْ ... هَا وَأَحْضِرْ شَاهِدَيْهَا

فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخَصْ ... مِ وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا

ويستحب للقاضي أن يحضر في مجلسه الفقهاء ليشاورهم فيما يشكل عليه، لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٤٣].

ومن الأمور التي يجدر بالقاضي أن يفعلها اتخاذ مترجم له، ولا سيّما إذا كان المدعي أو المدعى عليه أعجميًا ولا يتقن الحديث بالعربية، أو الشهود لا يتقنون إلا لغتهم الأعجمية فقط.

ولما كان مجلس القاضي يحتاج إلى الهيبة الوافرة والجدية اللازمة لإرهاب المجرمين وتأديبهم، فإنه يحسن بالقاضي أن يتخذ الشرطة بين يديه، لأنها ضرورية في إحضار الخصوم واستدعائهم، وحفظ الأمن، وترتيب الخصوم، والوقوف بين يدي القاضي انتظارًا لأوامره واستكمالاً لهيبة مجلس القضاء وتنفيذ العقوبات بعد حكم القاضي.[٤٤]

---

[٤٢] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٣١٧.

[٤٣] سورة آل عمران: آية ١٥٩.

[٤٤] الطريقي، ناصر عقيل: القضاء ونظامه في عهد عمر بن الخطاب، دار المدني، جدة، ط١، (١٤٠٦هـ) ج١، ص٢٩٦.

www.mtenback.com

كما عليه أن يتخذ الحاجب والوكلاء والأعوان إجلالاً له ومنعًا للفوضى ليذعن جميع المتخاصمين إلى الحق.

ومن الآداب التي ينبغي أن يراعيها القاضي عند النظر في القضايا المرفوعة إليه أن يقدم الخصوم على مراتبهم في الحضور، الأول فالثاني فالثالث وهكذا، لأن هذا منتهى العدل والإنصاف.

وتعد رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضى الله عنهما من أهم الرسائل وأشملها، وقد اهتم بها المسلمون وسموها دستور القضاء. فقد بين فيها آداب القضاء، وما يجب على القاضي اتباعه، كما بين صفة الحكم، وكيفية الاجتهاد، واستنباط القياس. يقول عنها المبرد: « جمع فيها جمل الأحكام، واختصرها بأجود الكلام، وجعل الناس بعده يتخذونها إمامًا، ولا يجد محقٌ عنها معزلاً، ولا مبطل عن حدودها محيصًا»[٤٥].

جاء في هذه الرسالة:«بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس: سلام عليك، أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فعليك بالعقل والفهم وكثرة الذكر، فافهم إذا أدلى إليك الرجل الحجة فاقضِ إذا فهمت، وأمضِ إذا قضيت. فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً. ومن ادعى حقًا غائبًا أو بينة فاضرب له أمدًا ينتهي إليه فإن جاء ببينته أعطيته حقه، وإلا استحللت عليه القضية، فإن ذلك أبلغ في العذر وأجلى للعمى، ولا يمنعنّك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإنّ الحق قديم ومراجعة الحق خيرمن التمادي في الباطل.

---

[٤٥] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص٨.

www.mtenback.com

الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ. ثم اعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله تعالى وأشبهها بالحق. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا في حد، أو مجربًا عليه شهادة زور، أو ظنينًا في ولاء أو نسب أو قرابة فإن الله تعالى تولى منكم السرائر. ودرأ بالبينات والأيمان. وإياك والغضب والقلق والضجر، والتأذي بالناس عند الخصومة، والتنكر عند الخصومات،فإن القضاء عند مواطن الحق يوجب الله تعالى به الأجر، ويحسن به الذكر. فمن خلصت نيته في الحق، ولو على نفسه، كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس، ومن تخلّق للناس بما ليس في قلبه شانه الله تعالى، فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا، فما ظنك بثواب من الله في عاجل رزقه، وخزائن رحمته والسلام»[٤٦].

آداب السفر:

السفر: قطع المسافة، وجمعه أسفار. ومنه قوله تعالى ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[٤٧] وقَوْمٌ سَفْرٌ وسافرة وأسفار وسُفُّار: ذوو سفر[٤٨].

والسفر هو الوضوح والإشراق والإضاءة والحسن. وأسفر الصبح: أضاء وأشرق. والسفرة: طعام يتخذه المسافر. والسفير الرسول المصلح بين القوم، والجمع سفراء.

ومسافر الوجه ما ظهر منه، ومنه سمي السّفر لأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأحوالهم وأخلاقهم.

أما السفر اصطلاحًا، فهو قطع المسافة بنية الانتقال لبلد آخر.

---

[٤٦] الصنعاني: سبل السلام، ج٤ ، ص ٢٢٩-٢٣٠.

[٤٧] سورة سبأ: الآية ١٩.

[٤٨] الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص٥٢٢-٥٢٣.

www.mtenback.com

والرحلة من الارتحال، وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، ماديًا كان أو معنويًا، وترحل القوم عن المكان: أي انتقلوا. [٤٩] أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السّفر.

أغراض السّفر:

الإنسان محب للحرية والانطلاق، وله شغف بالانتقال. وهو يسعى دائمًا للحصول على ما يدفعه للتطور والتقدم. ولا شك أنّ من بين أسباب تطوره وتقدمه، حبه وتطلعه للسفر والارتحال. فالرحلة سعيٌ ونشاط وتعلُّم، فعن طريق الارتحال والانتقال يكتسب الإنسان علمًا،أو رزقًا أو صديقًا، وتتوسع معارفه وتزداد خبرته بالحياة والمجتمعات وأنظمة الكون والأخلاق وغيرها من الفوائد ، ولا يمكن الحصول عليها إلا بالانتقال.

والرحلة سلوك ملازم للإنسان، الذي تدفعه رغبته في الحركة من أرض إلى أرض، ومن بيئة إلى بيئة. ومن ثم فقد أدت الرحلات والأسفار أدوارًا خطيرة في حياة الأفراد والأمم والشعوب، خاصة تلك التي كانت تعيش في بيئات مقفرة جدباء مثل جزيرة العرب.

وقد قام العرب قبل الإسلام برحلات مشهورة من أجل التجارة، أشهرها رحلتان هما: رحلة الصيف إلى الشام، ورحلة الشتاء إلى جنوب الجزيرة العربية. واختصت بهما قريش ذات النشاط التجاري الواسع، وكانت تبعًا لذلك كثيرة الرحلات والأسفار كما ورد في القرآن الكريم ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. [٥٠]

---

[٤٩] الفيروزآبادي: ص ١٢٩٨.

[٥٠] سورة قريش: الآيات ١-٤.

www.mtenback.com

والعربي الذي عاش في جزيرة العرب، كانت الرحلة سمة مميزة لـــه، وظـــاهرة طبيعية في حياته اليومية. وليس هذا فحسب بل نفذت إلى مشاعره وأحاسيسه، فعـــبر عنها أصدق تعبير في شعره. وأصبح وصف الرحلة عنصراً أساسيًا من عناصر القصيـــدة الجاهلية، إذ لا تكاد تخلو قصيدة جاهلية من ذكر الرحلة ومشاقها وإنهاكها للناقـــة أو راكبها.

فالشاعر لايقوى على البقاء في مكان خلا من محبوبته. فيفكر في الرحيل واصفًا راحلته القوية السريعة التي تجوب به القفار الموحشة، وقد يصف الديـــار والأطـــلال والخيام وما على الهودج من أستار، قال لبيد[٥١]:

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حَيْـــنَ تَحمَّلُـــوا فَتَكَنَّسُـــوا قُطُنًـــا تَصِـــرُّ خِيَامُهـــا

ويروي لنا الشاعر قصة رحيل محبوبته بالتفصيل، ثم يروي لنا قصة سفره الشاق القاسي[٥٢]:

بِطَلِيْـــحِ أَسْـــفارٍ تَرَكْـــنَ بَقِيَّـــةً مِنْهَـــا فَـــأَحْنَقَ صُلْبُهَـــا وسَـــنَامُهَا

فَـــإِذَا تَغَـــالى لَحْمُهَـــا فَتَحَسَّـــرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْـــدَ الكَـــلاَلِ خِدَامُهَـــا

كما أن شعراء الجاهلية في رحيل دائم من أجل المال الذى يهبه الكرام، يقـــول زهير بن أبي سلمى[٥٣]:

تَـــأَوَّبني ذِكْـــرُ الأَحِبَّـــةِ بَعْدَمَـــا هَجَعْتُ وَدُوْني قُلَّةُ الحَـــزْنِ فَـــالرَّمْلُ

فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِـــنْ مِنـــىً وَما سُحِفَتْ فِيْهِ المَقَـــادِيمُ والقَمْـــلُ

---

[٥١] لبيد بن ربيعة العامري: الديوان، تحقيق: إحسان عباس، الكويت، (١٩٩٢م)، ص٣٠٠.

[٥٢] المصدر السابق، ص٥٣.

[٥٣] زهير بن أبي سلمى: شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: فخرالدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٣٣.

www.mtenback.com

لأَرْتَحِلَنْ بِالفَجْرِ ثُمَّ لأَدْأَبَنْ إِلَى اللَّيْلِ إِلاّ أَنْ يُعرِّجَني طِفْلُ
إِلَى مَعْشَرٍ لم يُورثِ اللُّؤْمَ جَدُّهم أَصاغِرَهُمْ، وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلُ

و ليس كل السفر من أجل المال أو العيش، فهناك للسفر أسباب ودواع كثيرة.

ومن أسباب السفر، التجارة، فالتجارةعند العرب منذ العصر الجاهلي كانت عاملاً له أهميته في ازدياد حركة الانتقال بين البلدان المعروفة آنئذ. ولما ظهر الإسلام ازدادت التجارة إلى حد تجاوز المناطق التي فتحوها، وزاد حجم التبادل السلعي بين المجتمعات الإسلامية من ناحية وبين غيرها من الأمم غير الإسلامية من ناحية أخرى، حتى بلغ العرب أقصى بحار الصين، وصحارى إفريقية، والكثير من البلدان الأخرى التي لم تكن في حوزة الدولة الإسلامية.

وينبغي أن نذكر أن قيام نظام البريد من العوامل التي أدت إلى الأسفار والرحلات. فقد عني العرب بالمدن والأقاليم المفتوحة، فدونوا لها الدواوين، وعبّدوا لها الطرق، ونظموا لها البريد فارتبطت حركة الرحلات في بداية العهد الإسلامي بتاريخ البريد.

وكذلك ساعدت جباية الخراج في التنقل من قطر إلى قطر، لمعرفة ما يجبى من الخيرات من ذلك القطر، ومن ثم تدوين ما يشاهد الجابي في حلّه وترحاله.

ومن دوافع السفر عند المسلمين الأوائل الرغبة في تحصيل العلم والمعرفة. فقد كانت الرحلة أشبه بالبعثة التعليمية في عصرنا الحاضر، أي أنها كانت وسيلة من وسائل تلقي العلم وآدابه. ومرد هذا أن كثيرًا من طلاب العلم وحفاظه كانوا يعتقدون أن المعرفة العلمية الصحيحة لا تتأتى إلا باللقاء والاتصال المباشر بين طلاب العلم والعالم نفسه، وأنه لابدّ من المشافهة والحصول على الإجازة من الشيوخ أنفسهم لا الاكتفاء بقراءة كتبهم أو كتب سلفهم دون تعلمها من قبل شيخ مجاز، عرفت منزلته العلمية، وطارت بها الركبان[٥٤].

[٥٤] موافي، د. عثمان: لون من أدب الرحلات، الإسكندرية (١٩٧٣م) ص٧.

www.mtenback.com

يقول ابن خلدون:«فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ يفيده تميز الاصطلاحات، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق وتوصيل، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام فى الملكات، ويصحح معارفه، ويميزها عن سواها، مع تقوية ملكته المباشرة والتلقين، وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم» (٥٥).

هذا وقد كان ضمن طلب العلم وفنونه المختلفة، طلب الحديث ومدونات الرحلة، ورحلات العلم في بلاد المغرب والأندلس سجل أخبارها بعض الرحالة في كتبهم. وقد وصف بعضهم أحداث رحلاتهم وصفًا صادقًا معبرًا عما رآه وأدهشه تعبيرًا فنيًا رائعًا. وهذا الضرب من الرحلات، والكتابة عن أخبارها وأحداثها، لا يقتصر فيها الكاتب على نقل انطباعاته وأحداث الرحلة بل يتعدى ذلك إلى التأثير والإمتاع الفني للمتلقي بجمال العبارة وبعد الخيال، وكان من هؤلاء الكتاب أبو بكر ابن العربي الذي رحل من إشبيلية بالأندلس - إلى المشرق وحضر دروس الإمام الغزالي ببغداد، وسافر من بغداد لأداء فريضة الحج بمكة المكرمة، وانتقل منها إلى تلقي العلم بمصر ثم عاد إلى وطنه بعد تجوال دام ثمانية أعوام. وقد سجل في هذه الرحلة أدبًا رفيعًا لم يقف عند نقل الخبر، أو وصف الديار، أو ما لقي من علماء وطلاب علم أو شعراء، أو أحداث، فكان ماخلفه مصدرًا أدبيًا وثقافيًا وتاريخيًا لتلك الحقبة الزمنية البعيدة. ومن كتاب هذا الفن الأدبي محمد بن أحمد بن جبير الذي ارتحل من الأندلس إلى المشرق حيث عاش مغتربًا عن دياره لمدة طويلة وتوفي بالإسكندرية. يقول ابن جبير معبرًا عن إحساسه بالغربة والبعد عن الوطن:

غَرِيْبٌ تَذَكَّرَ أَوْطَانَهُ فَهَيَّجَ بِالذِّكْرِ أَشْجَانَهُ

(٥٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت (١٩٨١م) ص٥٠٩

www.mtenback.com

يَحُـلُّ عُـرَا صَبِّـهِ بِالأَسَـى وَيَعْقِـدُ بِـالنَّجْمِ أَجْفَانَـهُ

هذا وقد كانت لسلفنا الصالح أسفار ورحلات مشهورة طبقت شهرتها الآفاق.ومن أبلغ ماورد في الحض على السفر والرحلة والحث عليها أبيات تنسب إلى الإمام الشافعي وفيها يقول[٥٦]:

سافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفارِقُهُ وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ العَيْشِ في النَّصَبِ

إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ المَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ

وَالأُسْدُ لَوْلاَ فِرَاقُ الأَرْضِ ما افْتَرَسَتْ وَالسَّهْمُ لَوْلاَ فِرَاقُ القَوْسِ لَمْ يُصِبِ

وَالتِّبْرُ كَالتُّرْبِ مُلقًى في أَمَاكِنِهِ وَالعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الحَطَبِ

فبالرغم مما يصادفه الإنسان من تعب وإرهاق في سفره إلا أنه يجد متعة ومنفعة.

ومن أغراض السّفر السيّاحة: والسياحة لون من ألوان الرحلة، لا نقول إنه مستحدث، وإنما هو قديم اشتهر به أناس كثيرون،كابن بطوطة مثلاً، وكانت رحلاتهم تقوم على أساس الضرب في الأرض لمعرفة أحول البلاد والعباد. وصارت السياحة في الأوقات المتأخرة ضربًا من الترفيه الذي أقبل عليه الناس بشدة من مختلف الدول ومختلف الجنسيات، بل وأصبحت السياحة منظمة بدقة إلى الحد الذي نرى فيه كثيرًا من الدول تهتم بها وتجعلها من موارد دخلها الأساسية. والسائح يعدُّ السفر ضربًا من ضروب التسليةوالترفيه الثقافي وتمضية الوقت هربًا من مشكلات الحياة، إلا أنه مع ذلك تظل السياحة مصدرًا ثرًا لزيادة المعرفة، وكشف المجهول، ومصدر الرزق.

وربما كان السائح هو الذي يجني تلك الثمار، ولكنه في الوقت نفسه يحتاج لأن ينفق في البلاد التي يزورها، فإنفاقه هذا يشكل جزءًا من الكسب لأهالي تلك البلاد،

---

[٥٦] الشافعي، محمد بن إدريس: ديوانه، تحقيق: محمد عفيف الزغبي، مؤسسة الزغبي، بيروت، ط٤، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص٨١.

www.mtenback.com

ويكون رافدًا اقتصاديًا لهم، فتتحقق عن طريق السفر فائدة مزدوجة للمسافر من جهة، وللبلاد التي سافر إليها وشدَّ رحاله لزيارتها من جهة أخرى.

وفي هذا المجال نجد السفارة قد أخذت في النمو والازدهار تبعًا لعلاقات الدول بعضها ببعض في مختلف أغراض الحياة سلمًا وحربًا، كما كان للسّفراء اللمّاحين الأذكياء دور مهم في توضيح وجهات النظر الخاصة بدولهم لدى الآخرين، والعمل الدائم على إزالة ما قد ينشأ بين دولة وأخرى من توتر في العلاقات.

وقد عرف العرب السفارة منذ قديم الزمان وتطورت مع حضارتهم الإسلامية وكانت في غاية الأهمية لذا كان الخلفاء والولاة يختارون أكارم الناس لإرسالهم إلى البلاد الأخرى، ممن كانوا على قدر كبير من الأدب والعلم ومعرفة ثقافة البلدان المرسلين إليها ولغتها، وكان رسول الله ﷺ يرسل سفراءه إلى ملوك الدول وكان يختار لهذه المهمة أكثر صحابته ذكاءً وحنكة وكان يستقبل السفراء ويناقشهم ويتحاور معهم ويرسل الرسائل معهم وسنّ سنة في غاية الأهمية وهي عدم التعرض للسفراء أو قتلهم مهما كانت مهمتهم أو وجهات نظر من يرسلونهم أو أخذهم أسارى لفديتهم أو غير ذلك، وتطورت السفارة بعد ذلك وصار السفير مقيمًا في البلد المرسل إليها وتوسعت مهمته ومهمة سفارته وصار منها رعاية شؤون رعايا الدول التي يمثلونها، وعقد المعاهدات والاتفاقات الثقافية والتجارية والعسكرية وغيرها.

السفر في القرآن:

الآيات الكريمة التي ذكر فيها السفر والسير في الأرض كثيرة. فلقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٥٧]. وقال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

[٥٧] سورة آل عمران: الآية ١٣٧.

www.mtenback.com

الْمُكَذِّبِينَ﴾[٥٨]. وقال تعالى﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[٥٩]. وقال تعالى﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٦٠] وقال تعالى﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٦١].

هذه الآيات كلها تتضمن السفر إمَّا بالحثِّ عليه صراحة، وإما بذكر وسيلته، وإمّا بذكر متعلقاته كالاهتداء بالنجوم.

وبما أن في السفر فوائد كثيرة فقد حث عليها الرسول الكريم في عدة مواضع منها: «سافروا تصحوا، وجاهدوا تغنموا، وحجوا تستغنوا»[٦٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «سافروا فإنكم إن لم تغنموا مالاً أفدتم عقلاً»[٦٣].

ومن فضائل السفر استجابة الدعاء كما ورد عن رسول الله ﷺ، قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن، دعوة المظلوم، ودعوة الوالد، ودعوة المسافر»[٦٤].

ومن حديث ابن عباس قال: «موت الغريب شهادة»[٦٥].

---

[٥٨] سورة الأنعام: الآية ١١.

[٥٩] سورة المؤمنون: الآيتان ٢١-٢٢.

[٦٠] سورة النحل: الآيات ٥-٧.

[٦١] سورة النحل: الآية ١٦.

[٦٢] أخرجه أحمد بن حنبل، ٣/٢٨٠.

[٦٣] المصدر السابق نفسه.

[٦٤] المصدر السابق.

[٦٥] أخرجه ابن ماجة، كتاب الجنائز ٦١.

www.mtenback.com

ومن حديث أنس، قال:«من مات غريبًا مات شهيدًا».[٦٦]

وجاء عن الثعالبي قوله: « من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار ومن بدائع الأقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علمًابقدرة الله ويدعوه شكرًا على نعمه».

وقالوا: ربما أسفر السفر عن الظفر. وقالوا الحركة ولود والسكون عاقر.

وكانت العرب تقول: السفر ميزان القوم[٦٧]. وتأمر بالمُحِلاَّت وهي الدلو والفأس والسُّفرة والقدر والقداحة، وإنما قيل لها مُحِلات لأن المسافر بها يحل حيث شاء ولا يبالي ألا يكون بقربه أحد[٦٨].

دواعي السفر وأسبابه:

لا يمكن تحديد دواعي السفر ولا أسبابه فالإنسان ذو حاجات وأغراض تدفعه للرحلة والإنتقال والضرب في فجاج الأرض والإغتراب عن الأهل والوطن، ومع الرحلة يشعر المرء بأهمية السفر أو الاضطرار إليه وقد يتأثر بما ينويه إلى السفر من أغراض فيعبر عنها وجدانيًا، ويتفاعل معها في ذات الوقت، ولعل أقدر الناس على وصف ما يعتلج في الأفئدة هم الشعراء الذين تسرع أفكارهم إلى ألسنتهم فيبوحون بما يختلج في نفوسهم وقد أكثر الشعراء من مدح السفر ودافعوا عنه، وحسنوه في نظر الناس. ودعوا إلى الغربة والاغتراب عن الديار، ففي السفر ينال المرء الغنى والعلم، ويترك وراءه مهانة الفقر وذل الحاجة واستبداد الحكام وجور الأيام إن كان سفره بسبب ذلك.

---

[٦٦] أخرجه ابن ماجة، جنائز ٦١.

[٦٧] أي أنه يسفر عن أخلاق المسافرين.

[٦٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار (١/١٧٠).

www.mtenback.com

فالمرء لا بد له من المخاطرة بنفسه، فالحر غير معذور على جلوسه تحت نير الظلم، ولا بد له من تحمل المشاق.

وإذا تتبعنا ما قاله الشعراء في مدح السفر نجد كمًا هائلاً نقتطف منه ما يلي، يقول عروة بن الورد[٦٩]:

خَاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيْبَ غَنِيْمَةً ... إِنَّ القُعُوْدَ مَعَ العِيَالِ قَبِيْحُ

ومثله:

شَرِّقْ وَغَرِّبْ تَجِدْ عَنْ مُعْرِضٍ عِوَضًا ... فَالأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلِ

والمتنبي يجعل أفضل الأمكنة ظهر حصان يسبح يجوب به صاحبه الدنيا طولاً وعرضًا، قال[٧٠]:

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ ... وَخَيْرُ جَلِيْسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

والإمام الشافعي ضرب في طول البلاد وعرضها غير هيّاب من الموت والأذى، فقال[٧١]:

سَأَضْرِبُ فِي طُوْلِ البِلاَدِ وَعَرْضِهَا ... أَنَالُ مُرَادِي أَوْ أَمُوتُ غَرِيْبَا

فَإِنْ تَلِفَتْ نَفْسِي فَلِلَّهِ دَرُّهَا ... وَإِنِ سَلِمَتْ كَانَ الرُّجُوْعُ قَرِيْبَا

ويحث على الغربة والسفر لأن هناك خمس فوائد، كما في قوله[٧٢]:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلاَ ... وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

---

[٦٩] عروة بن الورد: ديوانه، المطبعة الوهبية، (١٢٩٣هـ)، ص ٢٤.

[٧٠] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوانه، دار بيروت، بيروت، ص٤٧٨.

[٧١] الإمام الشافعي: ديوانه، ص٢٧.

[٧٢] ديوان الإمام الشافعي، ص ٤١.

www.mtenback.com

تَفَـرُّجُ هَـمٍّ وَاكْتِسَـابُ مَعِيشَـةٍ ... وَعِلـمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَـةُ مَـاجِدِ
فَإِنْ قِيلَ فِي الأَسْـفَارِ هَـمٌّ وَكُرْبَـةٌ ... وَتَشْتِيتُ شَمْلٍ وَارْتِكَابُ الشَّـدائِدِ
فَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ لَـهُ مِـن حَيَاتِـهِ ... بِـدارِ هَـوانٍ بَيْـنَ واشٍ وَحَاسِـدِ

ويجعل ابن دراج القسطلي البقاء في الديار غربة، وبيت من يعجز عن السفر هو قبره[٧٣]:

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الثَّـواءَ هُـوَ النَّـوَى ... وَأَنَّ بُيُـوتَ العَـاجِزِينَ قُبُـورُ

وممن دعا للسفر بسبب الفقر وحث على الغربة من أجل اكتساب المال الشاعر العباسي الوليد بن عبادة البحتري في قوله[٧٤]:

وَإِذا الزَّمَانُ كَسَـاكَ حُلَّـةَ مُعْـدَمٍ ... فَالبَسْ لَها حُلَـلَ النَّـوَى وَتَغَـرَّبِ

وكان عروة بن الورد يستسمح زوجته الخروج من أجل الغنى[٧٥]:

دَعِيْنِي أُطَوِّفْ فِـي البِـلاَدِ لَعَلَّنِـي ... أَفِيدُ غِنًى فِيهِ لِـذِي الحَـقِّ مَحْمَـلُ

ثم يقرر في عذوبة ورقة:

أَلَيْـسَ عَظِيمًـا أَنْ تُلِـمَّ مُلِمَّـةٌ ... وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِـي الحُقُـوقِ مُعَـوَّلُ
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْلِك دِفاعًـا بِحـادِثٍ ... تُلِمُّ بِـهِ الأَيَّـامُ فَـالْمَوْتُ أَجْمَـلُ

وقال في موضع آخر[٧٦]:

فَسِرْ فِي بِـلادِ اللهِ وَالْتَمِـسِ الغِنَـى ... تَعِشْ ذَا يَسَـارٍ أَوْ تَمُـوتَ فَتُعْـذَرا

---

[٧٣] ابن دراج القسطلي: ديوانه، تحقيق: د. محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشـق، ط١، (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص٢٩٨.

[٧٤] البحتري، الوليد بن عبادة: ديوانه، تحقيق: حسين كامل الصيرفي، دار المعارف، مصـر، (١٩٦٣هـ)، ص٢٢٨

[٧٥] عروة بن الورد: ديوانه، ص٦٢.

[٧٦] عروة بن الورد: ديوانه، ص ٤٤.

www.mtenback.com

وهذا شاعر آخر يجد نفسه في الغنى، ويحث من يفتقر بامتطاء دابته ليفوز بالثراء[٧٧]:

إِذَا أَعْوَزْتَ فِي أَرْضٍ فَدَعْهَا ... وَحُثَّ اليَعْمَلاتِ عَلَى وجَاهَا
وَنَفْسُكَ فُزْ بِهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا ... وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ نَعاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ ... وَنَفْسَكَ لَنْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ... فَلَيْسَ يَمُوْتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

ومن دواعي الارتحال عن الديار حلول الضيم والذل والهوان بمن يعيش بأرض قوم أهانوه. فإذا تغيرت البلاد بسبب جور حكامها أو اضطهاد أهلها لمن يعيش معهم، فليس المقام فرضًا واجبًا على الشخص بل له أن يبادر بالتحول عنها، لأرض فيها العز والكرامة، ويدع المقام فيها؛ فالحر لا يألف الهوان بل ينكره، ولايقيم بدار الذل بل من الحزم إذا مالت عنه أن يبادرها بالتحويل وأن يتركها فهو ليس مكبولاً بها.

يقول قيس بن الخطيم[٧٨]:

وَلَمْ أَرَ كَامْرِئٍ يَدْنُو لِضَيْمٍ ... لَهُ فِي الأَرْضِ سَيْرٌ وَانْتِواءُ
وَمَا بَعْضُ الإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ ... يُهَانُ بِهَا الفَتَى إِلاّ عَنَاءُ

وقال الفرزدق[٧٩]:

---

[٧٧] السويداء، عبد الرحمن: شذرات لامعة، الرياض، دار السويداء للنشر والتوزيع، ط١، (١٩٩٦م) ص٤٢٨.

[٧٨] قيس بن الخطيم: ديوانه، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت، ط٣، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٩٧.

[٧٩] الفرزدق، همام بن غالب: ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٩٨٦م)، ص١٤٥.

www.mtenback.com

وَفِي الأَرْضِ عَنْ دارِ القِلَى مُتَحَـــوَّلٌ وَكُـــلُّ بِـــلادٍ أَوْطَنَـــتْ كَبِـــلادِي

وقال الآخر: مهدداً من جفاه بالارتحال عن أي مكان على ظهر البســـيطة إذ يعدها وطناً له في أي مكان يحل به وليست البصرة والكوفة هما العالم كله[٨٠]:

فَإِنْ تَجْفُ عَنّي أَوْ تُرِدْ لِـــيْ إِهانَـــةً أَجِدْ عَنْكَ فِي الأَرْضِ العَرِيضةِ مَذْهَبا

فَلاَ تَحْسَبَنَّ الأَرْضَ بَابًـــا سَـــدَدْتَهُ عَلَـــيَّ وَلاَ المِصْرَيْـــنِ أُمًّـــا وَلاَ أَبًـــا

وقال قيس بن خفاف البرجمي محذراً من الإقامـــة في دار الســـوء وداعيًـــا إلى الارتحال عنها[٨١]:

احْذَرْ مَحَلَّ السُّـــوءِ لاَ تَحْلُـــلْ بِـــهِ وَإِذا نَبـــا بِـــكَ مَـــنْزِلٌ فَتَحَـــوَّلِ

دَارُ الهَـــوانِ لِمَـــنْ رَآهـــا دارُهُ أَفَراحِلٌ عَنْهَـــا كَمَـــنْ لَـــمْ يَرْحَـــلِ

وللإمام الشافعي قصيدة في الدعوة إلى ترك المواطن التي يضام فيها الإنســـان، يقول في بعض أبياتها[٨٢]:

اِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهـــا وَلاَ تَكُنْ مِنْ فِراقِ الأَهْلِ فِي حُـــرَقِ

فَالعَنْبَرُ الخَـــامُ رَوْثٌ فِـــي مَواطِنِـــهِ وَفِي التَغَرُّبِ مَحْمُوْلٌ عَلَـــى الْعُنُـــقِ

وَالْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الأَحْجَـــارِ تَنْظُـــرُهُ فِي أَرْضِهِ وَهْوَ مَرْمِيٌّ عَلَـــى الطُّـــرُقِ

لَمَّا تَغَرَّبَ حَـــازَ الفَضْـــلَ أَجْمَعَـــهُ فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الجَفْـــنِ وَالحَـــدَقِ

---

[٨٠] المصرين: الكوفة والبصرة.

[٨١] الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى: المفضليات، تحقيق: أحمد محمـــد شـــاكر، دار المعـــارف بمصـــر، (١٩٦٤م)، ص٣٨٥.

[٨٢] الشافعي: ديوانه، ص٦٣.

www.mtenback.com

ومن الشعراء من رغب في الارتحال عن البلاد التي تذل أهلها إذ عدَّ المقام فيها ليس فرضًا واجبًا ومنه قول أحدهم[٨٣]:

وَإِذَا البِلادُ تَغَيَّرَتْ عَنْ حَالِهَا ... فَدَعِ المُقَامَ وَبَادِرِ التَّحْوِيلا

لَيْسَ الْمُقامُ عَلَيْكَ فَرْضًا وَاجِبًا ... فِي بَلْدَةٍ تَدَعُ العَزِيزَ ذَلِيلاَ

وفي المقامة الصعيدية يقول القاسم بن علي الحريري حاثًا على ترك دار الذل والمهانة[٨٤]:

لاَ تَقْعُدَنَّ عَلَى ضرٍّ وَمَسْغَبَةٍ ... لِكَيْ يُقَالَ عَزِيزُ النَّفْسِ مُصْطَبِرُ

وَانْظُرْ بِعَيْنَيْكَ هَلْ أَرْضٌ مُعَطَّلَةٌ ... مِنَ النَّبَاتِ كَأَرْضٍ حَفَّهَا الشَّجَرُ

ارْحَلْ رِكَابَكَ عَنْ رَبْعٍ ظَمِئْتَ بِهِ ... إِلى الجَنَابِ الَّذِي يَهْمِي بِهِ المَطَرُ

أما المغيرة بن حبناء فيرنو إلى العشرة الطيبة والجيرة الحسنة في أي مكان،حتى لو تطلب منه أن يبيع داره ويتحول إلى دار يعرف الجيران قدر جارهم الجديد[٨٥]:

وَمِثْلِي إِذَا مَا الدَّارُ يَومًا نَبَتْ بِهِ ... تَحَوَّلَ عَنْهَا واسْتَمَرَّتْ مَرَائِرُهْ

وَلا أَنْزِلُ الدَّارَ المُقِيمَ بِهَا الأَذَى ... وَلاَ أَرْأَمُ الشَّيْءَ الَّذِي أَنَا قَادِرُهْ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْغَبْ بِدَارٍ نَزَلْتَهَا ... فَبِعْهَا بِدَارٍ أَو بِجَارٍ تُجَاوِرُهْ

والأصمعي يرغب في الارتحال عن البلاد التي يهان بها المرء[٨٦]:

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ يُهِينُكَ أَهْلُهَا ... وَلَمْ تَكُ مَكْبُولاً بِهَا فَتَحَوَّلِ

---

[٨٣] الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص٢٥٣.

[٨٤] الحريري، القاسم بن علي: مقامات الحريري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)، ص٣٠٦.

[٨٥] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ص ٢٣٩.

[٨٦] المصدر نفسه، ٢٣٩.

www.mtenback.com

وقال أبو الفتح الشذوني في المعنى نفسه[٨٧]:

إِذَا مَا الحُـــرُّ هَـــانَ بِـــأَرْضِ قَـــوْمٍ ... فَلَيْسَ عَلَيْـــهِ فِـــي هَـــرَبٍ جُنَـــاحُ

وَقَـــدْ هُنَّـــا بِـــأَرْضِكُمُ وَصِرْنَـــــا ... لُقًى[٨٨] فِي الأَرْضِ تَـــذْرُوهُ الرِّيَـــاحُ

وقال محمود الوراق[٨٩]:

وَإِذَا نَبَـــابِي مَـــنْزِلٌ لاَ يُرْتَضَـــــى ... جَاوَزْتُـــهَ وَاخْـــتَرْتُ مِنْـــهُ مَـــنْزِلاَ

وعمر بن الوردي شجع ابنه على الاغتراب والسفر وعدم العجز والقعـــود في الوطن وخاصة إن كان الرزق فيه قليلا، وقد شبه القعود بالماء الراكـــد والاغـــتراب بدورة القمر[٩٠]:

حُبُّـــكَ الأَوْطَـــانَ عَجْـــزٌ ظَـــاهِرٌ ... فَاغْتَرِبْ تَلْـــقَ عَـــنِ الأَهْـــلِ بَـــدَلْ

فَبِمُكْـــثِ المَـــاءِ يَبْقَـــــى آسِـــــنَا ... وَسُرَى البَـــدْرِ بِـــهِ الْبَـــدْرُ اكْتَمَـــلْ

ومن دواعي الرحيل البحث عن وطن آمن مستقر ينعم فيه المـــرء بالاطمئنـــان والهدوء، فإن حلت الفوضى مكان الإقامة وتولى الأشرار الأمور وساد الجهال علـــى البلاد والعباد فمن الأحرى البحث عن مكان آخر ولو كان بعيداً كما قـــال الأفـــوه الأودي[٩١]:

تَبْقَى الأُمُورُ بأَهْلِ الرأْيِ مَا صَلُحَـــتْ ... فَـــإِنْ تَوَلَّـــتْ فَبِالأَشْـــرَارِ تَنْقَـــادُ

---

[٨٧] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ص٢٤١.

[٨٨] اللقى: ما طرح على الأرض لعدم قيمته.

[٨٩] ابن عبد البر: بهجة المجالس، م١، ص٢٤١

[٩٠] المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي: الترغيب والترهيب، دار الريان للتراث، القاهرة، (١٤٠٧هـــ) ج٤، ص٨٠.

[٩١] القالي، إسماعيل بن القاسم: الأمالي، (د.ت، د.ط)، ج٢، ص٢٢٤.

www.mtenback.com

حَانَ الرَّحِيْلُ إِلى قَـــوْمٍ وَإِنْ بَعُـدُوا فِيْهِـمْ صَـلاَحٌ لِمُرْتَـادٍ وَإِرْشَـادُ

ارتبط السفر بالبعد عن الوطن، والأهل والأحباب والشوق والحنين إليهم. فحين ساعة الوداع يبدأ فراق الأحباب، ويستعد المسافر للرحيل، تخفق القلوب، وتغرق العيون بالدموع.

والوداع لحظات آنية تعتصر فيها القلوب بالمحبة وتبقى ذكراها طويلاً، ففيها العواطف تهيج والعبرات تذرف، والقلوب تخفق، ولهذه المواقف آداب عرفها العرب قديمًا وحديثًا وسطرتها كتبهم ودونوها في أشعارهم، وصفوا فيها هذه اللحظات أصدق وصف ولاسيما إذا كان الوداع بين المحبين، والمسافر بعد أن يودع أحبابه يبقى ساعات طويلة غارقًا في تفكيره يغلبه الشوق وهو في طريق سفره، يذكر ساعات الحب والأنس التي قضاها مع من فارقه، وكذلك المودعون لاينفكون عن ذكر حسنات المسافر ولحظاته الجميلة ودعائهم له بالتوفيق والبركة. وقد ذكر ابن عبد البر أهمية الدعاء عند الفراق بقوله: «إذا خرج أحدكم إلى سفر، فليودع إخوانه، فإن الله جاعل في دعائهم بركة»[٩٢].

والمسافر قد يشتاق لأهله بعد مرور بعض الوقت، وإذا تتبعنا مسيرة الشعر العربي نجد صورًا كثيرة في الشعر قديمه والحديث تبين لنا مذاهب الشعراء في الوداع والفراق، والبكاء، والشوق والحنين، ثم اللقاء .

ومما جاء في الفراق قول زبير بن بكار: شيّعني إسحاق بن إبراهيم وقال[٩٣]:

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِـرَاقِ الحَيَـاةِ وَفَقْدُكَ مِثْلُ افتِقَادِ الدِّيَمْ

---

[٩٢] المقدسي: الآداب الشرعية، ج١، ص٤٥٠.

[٩٣] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج١، ص٢٤٧-٢٤٨.

www.mtenback.com

عَلَيْكَ السَّـــلاَمُ فَكَـــمْ مِـــنْ وَفَـــاءٍ أُفَـــارِقُ مِنْـــكَ وَكَـــمْ مِـــنْ كَـــرَمْ

ونفطويه عَدَّ لحظات الفراق كفقد الشباب لا تعوض حتى لو فاضت عينـــاه بالدماء عليهما، فقال[٩٤]:

شَيْئَانِ لَوْ بَكَـــتِ الدِّمَـــاءَ عَلَيْهِمَـــا عَيْنَـــايَ حَتَّـــى تُؤْذِنَـــا بِذَهَـــابِ

لَمْ يَبْلُغَـــا المِعْشَـــارَ مِـــنْ حَقَّيْهِمَـــا فَقْـــدُ الشَّـــبَابِ وَفُرْقَـــةُ الأَحْبَـــابِ

وقيس بن ذريح يرى كل المصائب تهون على فرقة الأحباب[٩٥]:

وَكُلُّ مصيبـــاتِ الزَّمَـــانِ وَجَدْتُهـــا سِوَى فُرْقَةِ الأَحْبَابِ هَيِّنـــةُ الخَطْـــبِ

وقال آخر يصور حرقة قلبه عند الفراق[٩٦]:

ليس شَيءٌ مِـــن الفـــراقِ وإنْ كَـــا نَ أخـــو الوَجْـــدِ وَالِهًـــا كَلِفَـــا

أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَـــةِ المُشَـــيِّعِ لِلْقَلْـــ ـــبِ يُرِيْـــدُ الرُّجُـــوعَ مُنْصَرِفَـــا

وقال الآخر عند وداع محبوبه وقد رجع جسمًا بلا روح، لأنـــه أودع نفســـه لمحبوبه المسافر[٩٧]:

أَقُـــوْلُ لَـــهُ حِيْـــنَ وَدَّعْتُـــهُ وَكُـــلٌّ بِعَبْرَتِـــهِ مُبْلِـــسُ

لَئِـــنْ رَجَعَـــتْ عَنْـــكَ أَجْسَـــامُنا لَقَـــدْ سَـــافَرَتْ مَعَـــكَ الأَنْفُـــسُ

واستحضار العواطف ودموع العينين عند الوداع أمر فطري لايعرفه إلا المحبون في ساعة الوداع، قال المعتمر بن إياس: رأيت الحسن ودع رجلاً وعيناه تهملان وهـــو يقول[٩٨]:

---

[٩٤] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج١، ص٢٥٣-٢٥٤.

[٩٥] المصدر السابق، ج١، ص٢٤٨.

[٩٦] المصدر السابق نفسه.

[٩٧] المصدر السابق نفسه.

[٩٨] المصدر السابق، ج٢، ص٣٨.

www.mtenback.com

وَمَا الدَّهْرُ إلاَّ هَكَذَا فَـــاصْطَبِرْ لَـهُ رَزِيئَـةُ مَـالٍ أَوْ فِـرَاقُ حَبِيْـــبِ

فقد جعل الحسن فراق الحبيب من أشد صروف الدهر على الإنسان.

وهذا شاعر آخر يعيش بلا روح، مؤكدًا أنه سيحمل إلى ضريحه ساعة فـــراق محبوبته الذي أصبح قريبًا جدًا[٩٩]:

أُقِيْـمُ وَتَظْعَنِـين وَأَنْـتِ رُوْحِـي وَهَل جَسَـدٌ يَعِيْـشُ بِغَـيْرِ رُوْحِ؟!

لَئِـنْ كَـانَ الفِـرَاقُ غَـدًا فَـإِنِّي سَأُحْمَلُ لا أَشُـكُّ إِلَـى ضَرِيْحِـي

تَعَـالِي بَعْـدَ فُرْقَتِنَـا لِنَبْكِـي فَـإِنِّي نَـائِحٌ أَبَـدًا فَنُوْحِـي

وعمر بن أحمد يصف ما ينتاب النفوس عند الرحيل، وصعوبة الفراق التي تكاد تنتزع النفوس من أجسادها عند ساعة التوديع، وهي حالة لايعرف قسوتها إلا الذيـــن حلت بهم وقاسوا صعوبتها، وعرفوا مدى تاثيرها في تصديع القلوب وتفتيت الأكبـــاد، فيقول[١٠٠]:

أَمَّا الرَّحِيلُ فَحِـينَ جَـدَّ تَرَحَّلَـتْ مُهَجُ النُّفُوسِ لَـــهُ عَـنِ الأَجْسَـادِ

مَنْ لَمْ يَبِتْ والبَيْـنُ يَصْـدَعُ قَلْبَـهَ لَمْ يَـدْرِ كَيْـفَ تَفَتُّـتُ الأَكْبَـادِ

وبلغ ببعضهم الأمر إلى تصوير ساعة الفراق بساعة الموت وفراق الأبد، بل رأى أنه لولا الفراق والترحال ما كان للموت سبيل إلى الناس، وأن استطالة الزمن بالمســـافر لايشبهها في ثقلها وحركتها إلا ساعات الحساب يوم القيامة، يقول العلوي علي بـــن محمد في ذلك[١٠١]:

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الفِرَاقِ فَلَـمْ أَجِـدْ لِلْمَوْتِ لَـوُ فُقِـدَ الفِـرَاقُ سَـبِيْلاَ

---

[٩٩] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ص٢٥١

[١٠٠] الأبشيهي: المستطرف، ج٢ ص٤٣

[١٠١] ابن عبد البر: بهجة المجالس ج١ ص٢٥٢.

www.mtenback.com

يَاسَاعَةَ الْبَيْنِ الطَّوِيْلِ كَأَنَّمَا ... وَاصَلْتِ سَاعَاتِ القِيَامَةِ طُوْلاَ

ويجعل أبو تمام الفراق كالموت لا أحد يطيقهما، قائلاً[١٠٢]:

الْمَوْتُ عِنْدِي وَالفِرَاقُ كِلاهُمَا ... مَا لا يُطَاقُ

يَتَعَاوَنَانِ عَلَى النُّفُوسِ فَذَا الحِمَامُ وذَا السِّيَاقُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا كَذَا ... مَا قِيْلَ مَوْتٌ أَوْ فِرَاقُ

وللعشاق ضروب من المعاني في وصف أحزانهم لفراق الأحبة، ففي صياح الغراب نذير شؤم وإنذار بالفراق.والدعاء على الإبل والجمال شيء مألوف فعلى ظهورها تفترق الأجساد والأرواح. يقول الشاعرفي أبيات تنضح حزنًا وأسى مناديًا: «لا حملت رجلاك ياجمل»[١٠٣].

صَاحَ الغرابُ بِوَشْكِ البَيْنِ فَارْتَحلُوا ... وَقَرِّبُوا العِيْس قَبلَ الصُّبْحِ وَاحْتَمِلُوا

وَغَادَرُوا القَلْبَ مَاتَهْدَا لَوَاعِجُهُ ... كَأَنَّهُ بِضَرَامِ النَّارِ مُشْتَعِلُ

وَفِي الجَّوَانِحِ نَارُ الْحُبِّ تَقْذِفُهَا ... أَيْدِي النَّوَى بِزِنَادِ الشَّوقِ إِذْ رَحَلُوا

يَارَاحِلَ العِيس عَرِّجْ كَيْ أُوَدِّعَهُمْ ... يَارَاحِلَ العِيسِ فِي تِرْحَالِكَ الأَجَلُ

إِنِّي عَلَى العَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ ... يَالَيْتَ شِعْرِي لِطُولِ الْبَيْنِ مَا فَعَلُوا

هذه لحظات الفراق التي صورها الشعراء العرب تدل على الوقع الأليم في نفوسهم وقلوبهم، كيف لا وهم يفارقون من يحبون، الزوجة تفارق زوجها والحبيب يفارق محبوبته، والأب يفارق أولاده، والأخ يفارق أخاه والشيخ يفارق تلاميذه، وحق

---

(١٠٢) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص٤٥٨.

(١٠٣) ابن عبد البر: بهجة المجالس ص ٢٤٩.

www.mtenback.com

لهم هذه الذكريات العطرة، لأنهم كانوا يعانون منها أشد المعاناة، لأن المسافر في تلك الأيام كان يمشي في طريق وعر يتعرض للمآسي والمشكلات ولايدري عنه أحبابه شيئًا إلا عند عودته إن رجع، أما في يومنا هذا فقد قلت المخاطر من وحشة السفر فالمسافر يستطيع أن يطمئن أحباءه في كل وقت ولكن يبقى السفر مشقة وغربة وتبقى لحظات الوداع قاسية وغالية في الوقت نفسه.

البكاء والدموع:

ولحظات الفراق التي ذكرت من قبلُ، كان يصاحبها دموع حارة تذرف من عين حانية، ترنو إلى الحبيب في سفره، وتدعو الله ألا يطيل الغياب والفراق، وهي دموعٌ غالية خاصة إذا كانت بين المحبين، وكثير من المودعين عجزوا عن الكلام لكن دموعهم لم تعجز حين الفراق، ولغة الدموع أبلغ من الكلام لأنها مداد المحبين والعاشقين تسطر على الخدود عبارات اللوعة والحنين.

فقيس بن الملوح يبكي اليوم خوفًا وحذرًا مما يأتي به الغد، يقول: [١٠٤]

وَإِنِّي لأَبْكِي اليَومَ مِنْ حَذري غَدًا ... فِراقَكِ وَالْحَيَّانِ مُؤْتَلِفَانِ

وتبعه ذو الرمة طارقًا المعنى نفسه قائلاً:[١٠٥]

وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَالنَّوَى مُطْمَئِنَّةٌ ... بِنَا وَبِكُمْ عِنْ عِلْمِ مَا الْبَيْنُ صَانِعُ

وَأُشْفَقُ مِنْ هِجْرَانِكُمْ، وَتَشُفُّنِي ... مَخَافَةُ وَشْكِ الْبَيْنِ وَالشَّمْلُ جَامِعُ

الشوق والحنين:

مما ينشأ عن الرحيل والبعد عن الوطن والأهل شوق وحنين إلى الأحبة، وهي مشاعر رقيقة تمتزج بخلجات القلوب، وتأسر صاحبها ساعات من الزمن، وقد تنطلق

---

[١٠٤] مجنون ليلى، قيس بن الملوح: ديوانه، دار الكتاب العربي، بيروت، ص١٩٢.

[١٠٥] ذو الرمة: ديوانه، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٢، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٣٠٠.

www.mtenback.com

مع الدموع الحارة ساعة تذكرها، وكلما طال الفراق اشتد الشوق والحنين إلى المحبين. واشتهر العرب بشوقهم إلى الديار وإلى من يسكنها، وقد قيل: «من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقة، وإلى مسقط رأسها مشتاقة»[١٠٦].

وقد قدم أبان بن سعيد من مكة على النبي ﷺ فقال: «يا أبانُ، كيف تركت مكة؟. قال: تركت الإذْخِرَ وقد أعذَق، وتركت الثّمام وقد حاصَ، فاغرورقت عينا رسول الله»[١٠٧].

ومن علامات الشوق والحنين كثرة الذكرى للحبيب إن كان إنسانًا أو دارًا، وقد تذرف الدموع أحيانًا عند التذكّر، ومن العلامات أيضًا ذكر حديث الحبيب في كل مناسبة والإسراع في كتابه الرسائل أو الأشعار للمحبين.

ونقف الآن عند بعض ما أورده الشعراء في الحنين إلى أوطانهم وأحبابهم بعد الرحيل، يقول جرير[١٠٨]:

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ ... يَوْمُ الرَّحِيْلِ فَعَلْتُ مَالَمْ أَفْعَلِ

وأنشد ثعلب[١٠٩]:

وَمَا وَجْدُ مَغْلُولٍ بِصَنْعَاءَ مُوْثَقٍ ... بِسَاقَيْهِ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ كُبُولُ

قَلِيْلُ المَوالي مُسْلَمٌ بجَرِيرَةٍ ... لَهُ بَعْدَ نَوْمَاتِ العُيونِ أَلِيْلُ

يَقُوْلُ لَهُ الحَدَّادُ: أَنْتَ مُعَذَّبٌ ... غَداةَ غَدٍ أَوْ مُسْلَمٌ فَقَتِيْلُ

بِأَكْثَرَ مِنِّي لَوْعَةً يَوْمَ رَاعَنِي ... فِرَاقُ حَبِيْبٍ مَا إِلَيهِ سَبِيلُ

---

(١٠٦) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص٢٦٣، نقلاً: عن الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ج٢، ص٣٨٥.

(١٠٧) المصدر السابق: ج٢، ص٢٦٣. والإذخر والثمام: نوعان من النبات.

(١٠٨) جرير، بن عطية: ديوان جرير، بشرح: نعمان طه، دار المعارف بالقاهرة، ط٣، (١٩٨٦م) ص٩٤٠.

(١٠٩) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص٢٥٤.

www.mtenback.com

قال أبو عمرو بن العلاء: مما يدل على حرية الرجل وكرم غريزته حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى متقدم إخوانه، وبكاؤه على مامضى من زمانه.

وقالوا: الكريم يحنُّ إلى جنابه، كما يحنُّ الأسد إلى غابه.

وقالوا: يشتاق اللبيب إلى وطنه، كما يشتاق النجيب إلى عطنه[١١٠].

وعلي بن الجهم[١١١] يرى في الغربة وحشة وألمًا، فقلبه مع أحبابه وعقله دائم التفكير فيما صنعوا وانتفعوا من بعده:

يَا وَحْشَتَا للغريبِ في البَلَدِ النَّـ ... ـازِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا ... بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَمَا انْتَفَعَا

يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وغُرْبَتِهِ ... عَدْلٌ مِنَ اللهِ كُلُّ مَا صَنَعَا

ومما يدخل في هذا الباب ويعد من عيون الشعر العربي قصيدة ابن زريق البغدادي، التي يصف فيها ما لا قاه وكابده من فراق زوجته، وقد كان كثير السفر جوّاب آفاق، هاجر من بغداد إلى بلاد المغرب، قال فيها[١١٢]:

مَا آبَ مِنْ سَفَرٍ إلاَّ وَأَزْعَجَهُ ... رَأْيٌ إِلَى سَفَرٍ بِالرَّغْمِ يَتْبَعُهُ

كَأَنَّما هُوَ فِي حَلٍ وَمُرْتَحَلٍ ... مُوَكَّلٌ بِفَضَاءِ اللهِ يَذْرَعُهُ

ويقول فيها:

أَسْتَودِعُ اللهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا ... بِالْكَرْخِ مِنْ فلكِ الأزرارِ مَطْلَعُهُ

وَدّعْتُهُ وَبِوُدّي لَو يُوَدّعُنِي ... طِيْبُ الحَيَاةِ وَأَنّي لا أُوَدّعُهُ

---

[١١٠] الحصري، إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط٥ (١٤١٩هـ) ج٢، ص٧٣٦. والنجيب: الجمل الأصيل، والعطن: مبرك الإبل.

[١١١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥ ص ٤١٠.

[١١٢] الأبشيهي: المستطرف، ص ١٨٧- ١٨٩.

www.mtenback.com

كَمْ قَـــدْ تَشَـفَّعَ بِـي أَلاَّ أُفَارِقَـه ... وَلِلضَّـرُورَاتِ حَـالٌ لا تُشَـفِّعُهُ
وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَومَ الرَّحِيلِ ضُحـىً ... وَأَدْمُعُـي مُسْـتَهِلاَّتٌ وَأَدْمُعُـهُ

ونتابع معه وقد تجرّع كاسات[113] البين والفراق:

اعْتَضْتُ من وَجْهِ خِلي بَعْـدَ فُرْقَتِـه ... كَأسًا تَجَـرَّعَ مِنْهَـا مَـا أُجَرِّعُـهُ
ما كُنْتُ أَحْسَبُ رَيْبَ الدّهرِ يَفْجَعُنِي ... بِـهِ وَلاَ أَنَّ بِـي الأَيَّـامَ تَفْجَعُـهُ
حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فِيمَـا بَيْنَنَـا بِيَـدٍ ... عَسْـرَاءَ تَمنعُنِـي حَظِّـي وَتَمْنَعُـهُ
وَكُنْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي جَازِعًا فَرِقًـا ... فَمَا أُوَقِّي الَّذي قَدْ كُنْـتُ أَجْزَعُـهُ
بِاللهِ يَا مَنْزِلَ الأُنْسِ الَّـذِي درَسَـتْ ... آثَارُهُ وَعَفَـتْ مُـذ بنـتُ أَرْبَعُـهُ
هَل الزَّمَـانُ معِيْـدٌ فِيْـكَ لَذَّتَنَـا ... أَمِ اللَّيَـالِي الَّـتِي أَمْضَتْـهُ تُرْجِعُـهُ

هناك جملة من الآداب التي ينبغي على المسافر مراعاتها والتقيد بهـا إذا أزمـع السفر، ومن هذه الآداب استمداد العون من الله، ماديًا كان أو معنويًا، فالعون المعنـوي يتمثل في طلب التوفيق، والصبر على تحمل المشاق أو سعة الصدر.

أما العون المادي فيتمثل في طلب الرفقة الصالحة لأن الرفقة الصالحة تخفف من عناء السفر.

وعلى الصحبة أن تكون مثال الإخوة الناصحين بعضهم بعضًا، وأن يتحملـوا بعضًا، وأن يصبروا على المكاره التي قد تعترضهم في سفرهم وما أكثرها،وأن يتعـاونوا فيها بينهم بالزاد والشراب ومستلزمات الرحلة. جاء في وصية لقمان لابن لـه أراد أن يسافر: وكن لأصحابك موافقًا في كل شيء يقربك إلى الله ويباعدك مـن معصيتـه، وأكثر التبسم في وجوههم وكن كريمًا على زادك بينهم وإذا دعـوك فـأجبهم، وإذا

[113] كاسات: جمع كأس، وكؤوس وكئاس، انظر: لسان العرب.

www.mtenback.com

استعانوك فأعنهم وإذا استشهدوك على الحق فاشهدهم واجهد رأيك، وإذا رأيتهم يمشون فامشِ معهم، أو يعملون فاعمل معهم، واسمع لمن هو أكبر منك. وإن تحيرتم في طريق فانزلوا وإن شككتم في القصد فتثبتوا وتآمروا[١١٤].

وإذا ركب المسافر دابته أو وسيلة سفره فليسم الله، وإذا استوى عليها فليكبر الله ثلاثًا ثم يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾[١١٥].

على المسافر أن يودع أهله وأقاربه ويدعو لهم وأن يرد الأمانات إلى أهلها، وعليه أن يقيم وصيًا على أهله وماله من بعده. ويسن أن يشيع المسافر إلى خارج البلدة، وكان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفرًا ادن مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »[١١٦] ويدعو له كذلك: « اللهم أطو له البعد وهوّن عليه السفر»[١١٧] ويجيبه المسافر «أستودعك الله الذي لا تغيب ودائعه»[١١٨].

وأن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة، فعن المطعم بن المقداد الصحابي أن رسول الله ﷺ قال: «ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرًا» [١١٩] ويستحب أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة «قل أعوذ برب الفلق»، وفي الثانية: «قل أعوذ برب الناس» فإذا سلم قرأ آية الكرسي.

---

[١١٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار (١/ ١٧١).

[١١٥] رواه مسلم، كتاب الحج، رقم ٢٣٩٢. والآيتان ١٣-١٤ من سورة الزخرف.

[١١٦] رواه الترمذي والنسائي: كتاب الدعوات برقم ٣٣٦٥.

[١١٧] رواه الترمذي والنسائي: كتاب الدعوات برقم ٣٣٦٧.

[١١٨] رواه الطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[١١٩] رواه الطبراني في كتاب المناسك.

www.mtenback.com

وأن يرحل عن المنزل بكرة: فالسفر أول النهار يساعد المسافر على قضاء حوائجه والعودة إلى أهله إذا رغب العودة في اليوم نفسه، ففي الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»[١٢٠]، كما ثبت عنه ﷺ أنه كان يبعث بتجارته وجيوشه وسراياه أول النهار وكان يسافر يوم الخميس ولكن هذا شيء صعب في هذه الأيام إذا كان السفر بالقطار أو الطائرة أو الباخرة فلها مواعيد معينة لا تخرج عليها، وإنما يستحسن هذا لمن أراد السفر بالسيارة، أو كان له الخيار بين عدة مواعيد.

وإذا كان السفر طويلاً، وواسطته السيارة أو الدواب، وأراد المسافر الراحة أو المبيت فيفضل له الابتعاد عن الطريق، فإنها طريق المارة و الحيوانات. ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عرّستم فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل»[١٢١] ثم يدعو بهذا الدعاء: عن خولة بنت حكيم قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول:«من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك»[١٢٢].

وأن يتخذ مرشدًا إذا لزم الأمر ذلك، وأن يكون من أهل الخير والصلاح والأمانة. وأن يكون أكثر سيره في الليل، ويحتاط بالنهار، لأن السفر في الليل خاصة إن كان في أيام الحر هو أرفق بالجسم والراحلة، فالهواء يكون لطيفًا عليلاً، والهدوء يساعد على السفر فتطوى الأرض في الليل، ففي الأثر «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل»[١٢٣] ولعلي بن أبي طالب في ذلك[١٢٤]:

---

[١٢٠] في الترمذي: كتاب البيوع برقم ١١٣٣.

[١٢١] رواه مسلم: كتاب الإمارة برقم ٣٥٥٣.

[١٢٢] رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٤٨٨١.

[١٢٣] رواه أبو داوود: كتاب الجهاد برقم ٢٢٠٧.

[١٢٤] المنذري: الترغيب والترهيب، (٧٧/٤).

www.mtenback.com

اصبِرْ عَلَى السَيْرِ والإدْلاَجِ في السَّحَرِ وَفي الرَّوَاحِ عَلَى الحَاجَاتِ والبكـــرِ

وعليه أن يرفق بالدابة أو السيارة، وعليه المحافظة على القوانين، وعـــدم زيـــادة السرعة، وفحص السيارة قبل السفر وأثناءه.

وعلى المسافر التحلي بمكارم الأخلاق، وأن يكـــون عـــاقلاً ومتزنًـــا في كـــل تصرفاته، ولا يخالط المعاصي في رحلته، وعليه أن يعين المحتاج وأن يبذل الخير لكل من يستحقه.

وإذا قضى المسافر حاجته فعليه الاستعجال في العودة إلى أهله ليستأنف رعايتـــه وإشرافه عليهم. فعـــن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السـفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى أحدكم مهمتـــه مـــن سفره فليعجل إلى أهله»[١٢٥].

وفي أيامنا هذه كثر الاغتراب والارتحال بحثًا عن الرزق، وكثير مـــن الرجـــال يتركون أهلهم ويغادرون بلادهم، وقد يغيبون سنوات عديدة تاركين وراءهم أولادًا في عمر الربيع وزوجات وربما والدين أو أحدهما فمن الآداب ألا يطيل الغربة عن أسرته، وأن يسرع بالعودة إليهم إنْ تحقق هدفه أو جزءٌ منه، فرعاية الأهل خير له من الغربـــة التي قد لا تعود بالفائدة كما يرتجى، فكم من أب غادر بلدته إلى بلدٍ ناءٍ عنه وقد جمـــع من الأموال مايحقق له عيشة طيبة في بلده ولكنه لشدة حرصه على جمع المال يجعلـــه يؤثر التأخير في الرجوع، وإذا نظرنا إلى أولاده الذين تركهم دون رعاية نراهـــم قـــد انحرفوا عن الطريق السوي، قد خسر أولاده وربما يخسر ماجمعه في سنين الغربـــة مـــن أجل إصلاح مانتج من غربته، فعلى المسافر الذي يترك أهله ألا يطيل الغربة كثـــيرًا وأن يستغل كل إجازاته في الحضور إليهم ورعايتهم ما أمكن.

---

[١٢٥] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج باب السفر قطعة من العذاب برقم ١٦٧٧.

www.mtenback.com

وكذلك عليه ألا يبخل عليهم بإرسال مايحتاجونه من مصروفات ونفقات ولايتركهم عالة على غيره، وعليه أن يكون على صلة دائمة معهم بالرسائل أو المكالمات الهاتفية وغيرها.

أراد أعرابي السفر فقال لامرأته:

عُدِّي السِّنِينَ لِغَيْبَتِي وَتَصَبَّرِي ... وَذَرِي الشُّهُورَ فَإِنَّهُنَّ قِصَارُ

فأجابته:

فَاذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا ... وَارْحَمْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ

فأقام وترك السفر[١٢٦].

ويسن للمسافر حين وصوله من السفر أن يدخل أقرب مسجد إلى بيته ويصلي ركعتين، فعن كعب بن مالك قال: «إن رسول الله ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين»[١٢٧].

آداب السفر الخاصة:

الإستعدادات المادية:

فعلى المرتحل أن يصطحب كل مايراه ضروريًا من عدة السفر، كالملابس وأدوات النظافة، وما يحتاجه في سفره. فعن عائشة رضي الله عنها قالت:«كان رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء: المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط»[١٢٨].

---

[١٢٦] الأبشيهي: المستطرف (٢٦٦/٢) وعيون الأخبار (١٧٦/١).

[١٢٧] مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر برقم: ١١٧١.

[١٢٨] الطبراني: المعجم الكبير، ٢٢٠/١.

www.mtenback.com

وعليه كذلك توفير النفقة اللازمة من المال بناءً على المدة التي تستغرقها الرحلة، وعلى مستوى معيشة أهل المنطقة التي يقصدها، هذا فضلاً عن تكاليف السفر ذهابًا وإيابًا. وأن يتزود بالماء والطعام إذا كان السفر لمكان لايتوافران فيه.

الإستعدادات الثقافية:

يقتضي ذلك الإلمام بدراسة أغراض الرحلة، وطبيعة البلاد المسافر إليها، وعادات سكانها، ووسيلة التفاهم اللغوية معهم عند اختلاف اللغة، لأن معرفة أحوال البلاد وعادات سكانها ولغتهم تساعد المغترب على تسهيل أموره، ومن المستحسن دراسة هذه العادات والتقاليد قبل السفر، وسؤال من سبقه إلى الغربة وعاد إلى بلاده عن ذلك، وعليه أن يحترم هذه العادات ولا يفعل في بلاد الغربة ما يزعج أهل البلد المسافر إليه. كما عليه أن يراعي قوانين تلك البلاد وأنظمتها.

ومن الاستعدادات الثقافية للمسافر أن يصحب معه ما يؤنسه في رحلته من كتب ومجلات لأنها خير رفيق في الأسفار، ومن المؤسف أن نجد أن هذه العادة تكاد تضمحل عند المسافرين العرب في حين نجد أكثر المسافرين من غيرهم يصطحبون معهم الكتب المسلية في رحلاتهم، في حين أن أجدادنا كانوا حريصين على اقتناء الكتب واصطحابها معهم في أسفارهم، وإن كانت مهمة السفر للعلم والأدب كان أكثر الحمل من الكتب والأسفار التي كانت تلقى قبولاً جيدًا عند طلاب العلم. وقد ذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار: قال آخر لرجل ودعه: بقي علينا أن نكفّ من غرب الشؤون، ونستعين على فرقة الوحشة بالكتب فإنها ألسن ناطقة، وعيون وامقة[١٢٩].

وفي هذا ينطبق قول المتنبي[١٣٠]:

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنا سَرْجُ سَابِحٍ ... وَخَيْرُ جَلِيْسٍ فِي الأَنَامِ كِتَابُ

---

[١٢٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار (مجلد ٢/٤٠) وغرب الشؤون: مسيل الدموع.

[١٣٠] المتنبي: ديوانه، ص٤٧٨.

www.mtenback.com

الإستعدادات الطبية:

على المسافر أن يصطحب معه في رحلته ما يراه مناسبًا لحالته الصحية من الأدوية الطبية، وتقارير الفحوصات،ونتائج التحاليل الطبية، فقد يحتاج المسافر لكل هذا أو بعضه أثناء سفره.وقد أوصى لقمان ابنه في سفره بوصية خالدة منها: «وتزود معك الأدوية تنتفع بها وتنفع صحبك من المرضى والزمنى»[١٣١].

ونورد هنا وثيقة قيمة قدمها الطبيب قسطا بن لوقا البعلبكي.

وقد كان يرغب في مرافقة الحسن بن مخلد عندما عزم على أداء فريضة الحج،ولكن ذلك لم يتم له، فكتب هذه الرسالة في تدبير سفر الحج، وبعث بها إلى الأمير، وقد تضمنت جميع ما يحتاجه المسافر من إرشادات ونصائح طبية وغذائية وعلاجية[١٣٢] منها:

١- العلم باختلاف المياه، وأصل الفاسد منها.

٢- الاحتيال عند عدم الماء وقلته بما يقطع العطش.

٣- العلم بالتحرز من الأشياء التي يتولد منها العرق البدني وهيجان البواسير.

٤- التحرز من الحيات والعلاج من آفاتها.

وقد تضمنت هذه الرسالة أربعة عشر بابًا، وهي نصائح طبية غالية تتناسب مع هذا النوع من الرحلات الأرضية التي كانت غالبًا ما تتم سيرًا على الأقدام أو على ظهور الدواب.

---

[١٣١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، (١/١٧١) والزمنى: أصحاب العاهات.

[١٣٢] الصعيدي، الرحلة في الإسلام: الصفحات ٦٠-٦١-٦٢.

www.mtenback.com

من وصايا السفر:

دأب المسافرون قبل سفرهم على أخذ وصايا تكون نبراسًا لهم في سفرهم وتؤخذ ممن له تجربة في الحياة كالأبوين والعلماء والشيوخ وغيرهم، وكان المسافرون حريصين على تطبيقها كي تعود الفائدة عليهم، وربما قد تخفف من عناء السفر.

فعن أبي هريرة أن رجلاً قال: يارسول الله إني أريد سفرًا فأوصني، قال: «عليك بتقوى الله تعالى، والتكبير على كل شرف، فلمُا ولّى الرجل قال: «اللهم أطوِ له البعيد، وهون عليه السفر»[١٣٣]. ما أجملها من آداب، المسلم أخو المسلم، يستشير ويطلب نصائح والناصح ينصحهُ ثم يدعو له دعاء بظهر الغيب يخفف عنه وعثاء السفر.

ومن الوصايا ما ذكره الأصمعي قال:

سمعت أعرابيًا يوصي آخر أراد سفرًا فقال له: «آثر بعملك معادك، ولا تدع لشهوتك رشادك، وليكن عقلك وزيرك الذي يدعو إلى الهدى، ويجنبك من الردى واحبس هواك عن الفواحش، أطلقه في المكارم، فإنك تبرّ بذلك سلفك، وتشيد به شرفك»[١٣٤].

وهذه وصية بعض نساء الأعراب لابنها وقد أراد سفرًا فنصحته نصائح عظيمة تعدّ وثيقة مهمة في آداب السفر، ومن شدة عظمتها يعجب بها أحد عباد البصرة فلنستمع إليها كما روتها كتب الأدب[١٣٥].

---

[١٣٣] ابن ماجة: سنن ابن ماجة، حديث رقم ١٢٧٩.

[١٣٤] الحصري: زهر الآداب (٤٣٨/١).

[١٣٥] أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم: الأمالي، دار الكتب، القاهرة، ط٢، (١٣٤٤هـ/١٩٢٦م)، ج٢ ص ٧٩؛ والحصري: زهر الآداب (٤٣٨/١)، وانظر: الجاحظ: البيان والتبيين، (٧٢/٤).

www.mtenback.com

وقف أبان بن تغلب وكان عابداً من عباد أهل البصرة - على أعرابية توصي ولدها المسافر وهي تقول له: أي بني! اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى لك من كنز عقلك.

أي بني: إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتُتخذ غرضاً، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كلمته حتى يهن ما اشتد من قوته، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريماً، ولا تهزز لئيماً، فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه... ثم أمسكت فدنوت منها فقلت: بالله يا أعرابية، ألا زدته في الوصية؟ فقالت: أو قد أعجبك كلام العرب ياعراقي؟ قلت نعم، قالت: والغدر أقبح ماتعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة[١٣٦] ربطتها وسربالها.

ولم تقف كتب الأدب والتراث العربي عند إيراد هذه الوصايا، بل نجد الكثير منها مبثوث بين صفحات الكتب فإنها تدل على النصيحة بين الناس لقول رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة».

وجلّها يتعلق بأدب السفر والاحتراس من قطاع الطرق، والمعاملة الحسنة مع الركب، والمعاملة الطيبة مع سكان البلاد المسافر إليها.

فقد أوصى بعض الحكماء صديقاً له، وقد أراد سفراً فقال: إنك تدخل بلداً لا يعرفك أهله، فتمسك بوصيتي تنفق بها فيه: عليك بحسن الشمائل فإنها تدل على الحرية ونقاء الأطراف فإنها تشهد بالملوكية، ونظافة البزّة فإنها تنبئ النَّشء في النعمة،

---

[١٣٦] الربطة: الملاءة أو كل ثوب رقيق. والسربال: القميص أو الدرع.

www.mtenback.com

وطيب الرائحة، فإنها تظهر المروءة، والأدب الجميل فإنه يكسب المحبة، وليكن عقلك دون دينك، وقولك دون فعلك، ولباسك دون قدرك، والزم الحياء والأنفة، فإنك إن استحييت من الغضاضة اجتنبت الخساسة، وإن أنفت عن الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة[١٣٧].

ومن أجمل ما قيل في وصايا السفر وصية أعرابية لابنها، إذ قالت: يا بنيَّ إنك تجاور الغرباء، وترحل عن الأصدقاء، ولعلك لا تلقى غير الأعداء، فخالط الناس بجميل البشر، واتق الله في العلانية والسر[١٣٨].

ومن وصايا لقمان لابنه في سفر: «يا بني إذا سافرت فلا تنم على دابتك فإن كثرة النوم سريع في دَبَرها، فإذا نزلت أرضًا مُكْلِئةً فأعطها حظها من الكلأ وابدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك، وإذا بعدت عليك المنازل فعليك بالدلج فإن الأرض تطوى بالليل، وإذا أردت النزول فلا تنزل على قارعة الطريق فإنها مأوى الحيّات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونًا وألينها تربة وأكثرها كلأ فانزلها....»[١٣٩].

آداب المجلس:

المجالس أنواع شتى وأضرب متنوعة، فمنها مجالس الذكر، ومجالس العلم والأدب، ومجالس الأنس واللهو والطرب، ومنها مجالس العلية من القوم كالملوك والأمراء والأشراف ومجالس العامة.

وتضم هذه المجالس- العام منها والخاص - أصنافًا شتى من الناس، ونماذج متنوعة من الأمزجة والعادات.

---

[١٣٧] الحصري: زهر الآداب (٤٣٧/١).

[١٣٨] المصدر السابق نفسه.

[١٣٩] المصدر السابق، (١٧١/١٧٠/١).

www.mtenback.com

فهي تضم الكبير والصغير، الغني والفقير، العالم والجاهل، رقيق الحس وغليظه. وتختلف كذلك في أماكن انعقادها، فمجالس الملوك والأمراء تعقد في قصور وصالات أعدت ورتبت لمقابلة الناس حسب مستوياتهم وأقدارهم. ومجالس العلماء تتسم بالبساطة وسهولة الدخول إليها - بلا إذن من الحاجب، ومجالس الذاكرين تتسم بالبساطة والبعد عن الزخرف، وكثيراً مايجلس زوارها على الحصر أو الأرض. ومجالس الأنس والطرب هي مجالس الأناقة والظرف، وقد تعقد بين الحدائق وعلى ضفاف الأنهار للاستمتاع بمناظر الأزهار والرياحين وروائحها، وكثيراً ما تقدم فيها أصناف المأكولات والمشروبات.

هذا ولكل مرتاد لهذه المجالس جلسة يمتاز بها، فقد قيل للملك جلسة، وللمطرب جلسة، وللملاعب جلسة، وللنديم جلسة، وللضيف جلسة. وقيل اختلاف صور جلوس الرجال على اختلاف أحوالهم.

هذا وقد كان الناس قديمًا يجتمعون ويجلسون في الطرقات فلم إذ لم تكن لهم أندية مخصصة للأنس والذكر. لذا كان لا بد لهم من أن يتبعوا نظامًا اجتماعيًا مرنًا يراعى فيه حق الطريق. وقد بين لهم الرسول الكريم ﷺ حقوق الجلوس على قوارع الطرقات. «إياكم والجلوس على الطرقات»، قالوا: يا رسول الله، مالنا بد من مجالسنا، نتحدث فيها، قال:«فأما إذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه»، قالوا: وما حقه؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»[١٤٠].

من أدب المجلس إذا دخل المرء مجلسًا عامًا أن يسلم على الحضور بتحية الإسلام. (السلام عليكم) أو أي تحية أخرى بعدها فقط.

ثم يجلس في آخر مكان خال من المجلس، أو في المكان الذي يحدده صاحب الدار، أو مسؤول التنظيم، إن كان المجلس في قاعة محاضرات مثلاً. وإن كان المجلس

---

[١٤٠] البخاري: صحيح البخاري، مظالم، ص٢٢.

www.mtenback.com

مجلسًا خاصًا وعدد الجالسين قليلاً، فعلى الداخل أن يسلم ويصافحهم فردًا فردًا من اليمين إلى اليسار، ثم يجلس حيث ينتهي به المجلس.

وإذا أراد المرء الخروج أثناء انعقاد المجلس فليستأذن وليسلم ثم يخرج.

وإن كان المجلس غاصًا و لم يجد الشخص متسعًا فلا يفرق بين اثنين ويجلس بينهما دون إذنهما إلا إذا وجد فرجة بينهما، قال رسول الله -ﷺ:«لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»[١٤١].

كان ابن عباس يقول: «لجليسي عليّ ثلاث: أرميه بنظري إذا أقبل، وأوسع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا حدث»[١٤٢].

وليس من الأدب أن يقيم الداخل للمجلس أحدًا من مجلسه ليجلس فيه، بل عليه أن يطلب من الجالسين أن يفسحوا له لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ﴾[١٤٣]، قال رسول الله ﷺ:«لا يقيمنّ الرجلُ الرجلَ من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا»[١٤٤]، وورد عن عمر رضي الله عنه قال: «إن مما يصفي وداد أخيك أن تبدأ بالسلام إذا لقيته،وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس»[١٤٥].

ومن لطيف ما ورد في هذا الباب أن القعقاع بن شور الهذلي كان إذا جالسه رجل يجعل له نصيبًا من ماله ويعينه على قضاء حوائجه. فقد ذكروا أنه دخل يومًا على

---

[١٤١] أبو داود: سنن أبو داود، كتاب الأدب برقم ٤٢٠٥، والترمذي، كتاب الأدب برقم ٢٦٧٦.

[١٤٢] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٣٨٠.

[١٤٣] سورة المجادلة: آية ١١.

[١٤٤] البخاري: صحيح البخاري، استئذان، ص٢١-٢٢.

[١٤٥] ابن عبدالبر: بهجة المجالس، ق١، ص٤٣.

www.mtenback.com

معاوية بن أبي سفيان فأمر له بألف دينار، وكان هناك رجل قد فسح لـه في المجلـس فدفعها للذي فسح له فقال[١٤٦]:

وَكُنْتُ جَلِيْسَ قَعْقَـاعَ بْـنِ شَـوْرٍ وَمَـا يَشْـقَى لقَعْقَـاعٍ جَلِيْـسُ
ضَحُوكُ السِّـنِّ إِنْ نَطَقُـوا بِخَـيْرٍ وَعِنْـدَ الشَّـرِ مِطْـراقٌ عَبُـوسُ

وإن كان الناس يجلسون متحلقين فليس من الأدب أن يجلس أحد وسطهم لمـا في هذه الجلسة من سوء الأدب، فقد روي «أن رسول الله ﷺ لعن من جلس وسـط الحلقة»[١٤٧].

كما ليس من الأدب أن يجلس جلسة استهتار بالآخرين، كأن يضع رجليـه في مواجهتهم، أو يضطجع وهم جلوس إلا لعذر.

وإذا قام أحد الجالسين من مكانه لحاجة طارئة، فليس من الأدب أن نشغل محله إلا إذا تأكدنا من عدم عودته، وإذا شغلنا محله وعاد فالأفضل أن نفسح لـه ليجلـس مكانه. للحديث: «إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق بـه»[١٤٨]. وإذا ضم المجلس اثنين فليس من الأدب أن يتهامسا دون الثالث حفاظًا علـى شـعوره أن يحرج ودرءًا لسوء الظن- كأن يظن أن الحديث عنه، أو يتضايق من وجوده سـاكتًا. ففي الحديث:«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخرحتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه»[١٤٩].

وإن كان الجالس في مجلس ليس له فلا يلومنَّ إلا نفسه، فقد قيل أول ما يتعـين على الجليس الإنصاف في المجالسة بأن يلحظ بعين الأدب مكانه من مكـان جليسـه

---

[١٤٦] الأبشيهي: المستطرف (١/٣٨٠).

[١٤٧] رواه أبو داوود: أدب، ص١٤.

[١٤٨] رواه مسلم: باب السلام، ص٢١.

[١٤٩] رواه البخاري: باب الاستئذان / ٤٥.

www.mtenback.com

فيكون كل منهما في محله. وقال جعفر الصادق :«إذا دخلت مجلس أخيك فاقبل كرامته كلّها ماعدا الجلوس في الصدور»[١٥٠].

ومن أدب المجالس التيامن في الدخول والخروج، وتوزيع الضيافة من حلويات ومشروبات وغيرها، وقد يقدم كبير السن، أو صاحب الفضل فيبدأ به، وإلا بدئ بمن عن اليمين لحديث النبي ﷺ «تيامنوا» فقد شرب رسول الله ﷺ في مجلس وكان أبو بكر عن شماله فاستأذن رسول الله ﷺ من عن يمينه أن يتنازل عن حقه في الشرب وأن يسمح لأبي بكر في الشرب بعد رسول الله ﷺ فاعتذر قائلاً: والله لا أوثر على سؤرك[١٥١] أحدًا يارسول الله.«فاستئذان رسول الله ﷺ لتقديم أبي بكر في الشرب لا يعتبر مخالفة لسنة التيامن إنما هو تكريم لصاحب الفضل». [١٥٢]

وإذا كان من بالمجلس جلوسًا، فيفضل عدم القيام لقادم تعظيمًا له، وذلك انسجامًا مع روح الإسلام في عدم التكلف، وفي عدم تعظيم الأشخاص. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يقومون لرسول الله - ﷺ حرصًا منهم على كسب رضاه، نظرًا لما يعرفون من شدة كراهيته للقيام له.

ويستحسن أن نقوم إذا كان القادم والدنا، أو معلمنا، أو ولي أمرنا ونرحب به ونجلسه في مكان مناسب ونوسع له. ففي الأثر: «لا يوسع في المجالس إلا لثلاثة: الذي علم لعلمه والذي سنّ لسنّه أو لذي سلطان لسلطانه»[١٥٣].

وقال حنبل سألت عمي (أحمد بن حنبل) ترى للرجل أن يقوم للرجل إذا رآه؟ قال لا يقوم أحد لأحد إلا الولد لوالده أو لأمه فأما لغير الوالدين فلا.

---

[١٥٠] الأبشيهي: المستطرف، (٣٨١/١).

[١٥١] السؤر: البقية أو الفضلة. الفيروزآبادي، ص ٥١٧.

[١٥٢] مبيض: محمد سعيد: الآداب الاجتماعية في الإسلام، طبع الشؤون الدينية بقطر، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٣٩.

[١٥٣] ابن عبد البر: بهجة المجالس (٤١/١).

www.mtenback.com

وعن تقدير مقام الوالد وإعطائه ما يستحقه من التكريم في المجلس ما روته السيدة عائشة قائلة: «ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا وهديًا ودلاً برسول الله ﷺ من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها»[١٥٤].

هذا وإذا كان القادم آتيًا من سفر فيسن القيام إليه لحديث رسول الله ﷺ «قوموا إلى سيدكم[١٥٥] فأنزلوه (يعني سعد بن معاذ)». وفي هذا إشارة لتكريم الأمير بالقيام له. وصحّ عن رسول الله ﷺ قوله: «ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»[١٥٦].

وروي عن ثعلب النحوي أنه قام لصديق قصده وأنشد[١٥٧]:

لَئِنْ قُمْتُ مَا فِي ذَاكَ مِنْهَا غَضَاضَةٌ ... عَلَيّ وَإِنِّي لِلكِرَامِ مُذَلَّلُ

عَلَى أَنَّهَا مِنِّي لِغَيْرِكَ هُجْنَةٌ[١٥٨] ... ولكنَّهَا بَيْنِي وبينَكَ تَجْمُلُ

ولغيره في هذا المعنى[١٥٩]:

إِذَا مَا تَبَدَّى لَنَا طَالِعًا ... حَلَلْنَا الحُبَا وَابْتَدَرْنَا القِيَامَا

فَلا تُنْكِرُنَّ قِيَامِي إِلَيْهِ ... فَإِنَّ الكَرِيْمَ يُجِلُّ الكِرَامَا

---

[١٥٤] الترمذي: كتاب المناقب برقم ٣٨٠٧.

[١٥٥] رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير برقم ٢٨١٦.

[١٥٦] الترمذي، برقم ١٥.

[١٥٧] بهجة المجالس (١/٤٤)

[١٥٨] الهجنة: العيب.

[١٥٩] ابن عبد البر: بهجة المجالس (١/٤٤) والحبا: الثوب المشتمل به. وفيه كناية عن خروجه عن حدود التزمت.

www.mtenback.com

وينبغي ترك القيام في اللقاءات المتكررة المعتادة انسجامًا مع عدم التكلف، ولكن إذا وجدنا في بيئة أو مجتمع لا يرى كرامته إلا بالقيام له، ويعدُّ عدم القيام استهانة به فلا بأس عند ذلك بالقيام له، ويعد تكريمًا للقادم وحرصًا على تحاب أفراد المجتمع المسلم، والمسلم كيِّسٌ فَطِنٌ.

ومن آداب المجلس أن يكرم صاحب البيت زائريه بأن يرحب بهم ويؤمِّن لهم الجلسه المريحة، وأن يشيّعهم إلى الباب حتى انصرافهم من مجلسه. سئل ابن عباس رضي الله عنه: من أكرم الناس عليك؟ قال جليسي حتى يفارقني[١٦٠].

ومن آداب المجلس نظافة المكان المعد لاستقبال الناس، واهتمام الجالسين بنظافة أجسامهم وألبستهم وابتعادهم عن أكل البصل والثوم قبل اللقاء لئلا يتأذّى الناس بروائحهم الكريهة. للحديث: «من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا».[١٦١]

ومن أدب المجلس الامتناع عن التدخين خاصة في الأماكن المحصورة، كالسيارة والطائرة، والحجرات الضيقة، والممرات الضيقة المغلقة لئلا يتأذى الجالسون من الدخان الذى يعكر صفاء الهواء المحصور، إذ قد يكون بين الجالسين مريضٌ أو صائمٌ، أو شخصٌ غير مدخن يتضايق من الدخان. ويمكن للمدخنين انتظار فرصة الاستراحة للتدخين فيها، أو الانتظار إلى أن يخرجوا إلى مكان فسيح.

أدب الحديث في المجالس:

لكل مجلس أدبه، ولكل جلسة حديثها، والمتحدثون في اللقاءات العادية عليهم أن يسمعوا الجالسين ما يقولون بعبارات واضحة بيِّنة، وبصوت مرتفع مسموع. ففي الحديث عن السيدة عائشةرضي الله عنها قالت: «كان كلام رسول الله ﷺ كلامًا

---

[١٦٠] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج١، ص٤٦.

[١٦١] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآذان، ص١٦٠.

www.mtenback.com

فَصْلاً يفهمه كل من سمعه»[١٦٢] وفي البخاري: «إنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه»[١٦٣].

وعلى المتحدث أن لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه، فقد قيل إن نشاط المتكلم بقدر إقبال السامع.

وكان مطرف بن عبد الله يقول: «لاتُطعم طعامك من لايشتهيه، ولا تقبل بحديثك على من لايقبل عليه بوجهه»[١٦٤].

وقال بعض الحكماء: «من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منه»[١٦٥].

وقالت الحكماء: رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهّم و الإصغاء للمتكلم[١٦٦].

وذكر الشعبي قومًا فقال: ما رأيت مثلهم أشدَّ تناوبًا في مجلس، ولا أحسن فهمًا من محدث.[١٦٧]

وقال عن عبد الملك بن مروان: والله ما علمته إلا أخاذًا بثلاث، تاركًا لثلاث: آخذًا بحسن الحديث إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤونة إذا خُولف، تاركًا لمجاوبة اللئيم ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج. ويجب على المحدث ألا يحدث الناس إذا كانوا مشغولين عنه وعليه أن يختار الوقت المناسب.

قال الحسن البصري: حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوههم[١٦٨].

---

[١٦٢] رواه أبوداود: كتاب الأدب برقم ٤١٨٩.

[١٦٣] البخاري: كتاب العلم برقم ٩٣.

[١٦٤] الجاحظ: البيان والتبيين، (١٠٣/١).

[١٦٥] الجاحظ: البيان والتبيين (١ /١٠٥).

[١٦٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٤٢٧.

[١٦٧] ابن عبد البر: بهجة المجالس (٤٥/١).

[١٦٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ٤٢٧.

www.mtenback.com

وذكروا أنّ أبا السمراء كان يومًا عند عبد الله بن طاهر، وعنده إسحاق بن إبراهيم، فاستدنى عبدالله لإسحاق فناجاه بشيء، وطالت النجوى بينهما. قال: فاعترتني حيرة فيما بين القعود على ما هم عليه والقيام، حتى انقطع ما بينهما، وتنحى إسحاق إلى موقعه، ونظر عبد الله إليّ، فقال: (يا أبا السمراء)

إِذَا النَّجيَّانِ سَرَّا عَنْكَ أَمْرَهُمَا ... فَانزَحْ بِسَمعِكَ تَجْهَلْ مَا يَقُولانِ

وَلا تُحَمِّلْهُمَا ثِقْلاً لِخَوفِهِمَا ... عَلَى تَناجِيهِمَا بِالمَجْلِسِ الدّانِي

فما رأيت أكرم منه، ولا أرفق أدبًا، ترك مطالبتي في هفوتي بحق الأمراء، وأدبني أدب النظراء[١٦٩].

وعلى المتحدث في المجلس أن يلتمس رضا مستمعه بأن يكون كلامه مفيدًا بيّنًا مختصرًا، فقد روي أن الأحنف بن قيس قال:«لو جلس إليّ مئة لأحببت أن ألتمس رضا كل واحد منهم»[١٧٠].

وقال معاوية بن أبي سفيان لعرابة الأوسي: بأي شيء استحققت أن يقول فيك الشماخ[١٧١]:

رَأَيْتُ عَرابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إِلَى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِيْنِ

إِذَا مَا رايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِاليَمِينِ

قال عرابة: بإكرامي جليسي، ومحاماتي على صديقي. فقال معاوية: لقد استحققت[١٧٢].

---

[١٦٩] المصدر السابق: ص٤٣٠.

[١٧٠] القرطبي: بهجة المجالس، ص٤٥.

[١٧١] الشماخ بن ضرار الذبياني: ديوانه، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص٣٣٥-٣٣٦.

[١٧٢] الأبشيهي: المستطرف، ص ٤٦.

www.mtenback.com

وكشاجم يبين لنا آداب الحديث في أبيات جميلة[١٧٣]:

وَجَلِيْسٍ لِي أَخِي ثِقَةٍ ... كَأَنَّ حَدِيثَهُ حَبَرَهْ
يَسُرُّكَ حُسْنُ ظَاهِرِهِ ... وَتَحمَدُ مِنْهُ مُحْتَضَرَهْ
وَيَسْتُرُ عَيْبَ صَاحِبِهِ ... وَيَسْتُرُ أَنَّهُ سَتَرَهْ

وقال الآخر[١٧٤]:

جَلِيْسٌ لِي لَهُ أَدَبُ ... رِعَايَةُ مِثْلِهِ تَجِبُ
لَو انتُقِدَتْ خَلاَئِقُهُ ... لَبُهْرِجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

وعلى المتحدث أن يُعطي المجلس حقه فلا يهزل في موقف الجد، ولا يضحك في موقف حزن مراعاة لشعور المحزون، ولا يتحدث عن العلاقة بين الجنسين بوجود النساء، أو بوجود أقارب زوجته. ولكل مقام مقال وخير القول ما وافق الحال.

وعليه أن يتخير ألفاظه، ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصًا إذا كان جليسه ذا هيبة، فربّ كلمة سلبت نعمة.

وكان ابن خارجة يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصغي إلى حديثي[١٧٥].

وعلى المتحدث في المجلس أن يتحفظ في كلامه من التطاول على الأصحاب والجلساء، وأن ينزل الناس منازلهم، ولا يزدريهم لهيئتهم ولباسهم، فقد ورد أن معاوية ابن أبي سفيان نظر إلى امرئ ضئيل في مجلسه عليه عباءة رثة فازدراه مستهزئًا به، وأبى مجاذبته أطراف الحديث. فاستشعر ذلك الرجل بسوء نية معاوية له فقال له: يا أمير المؤمنين: إن العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها، وأنشد قائلاً:

---

[١٧٣] كشاجم، أبو الفتح محمد بن الحسن: ديوانه، دار صادر، بيروت، (١٣١٣هـ)، ص١٣٤.

[١٧٤] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ص ٤٥.

[١٧٥] الأبشيهي: المستطرف، (٣٨٢/١).

www.mtenback.com

إِنَّـي وَإِنْ كَـانَ أَثوابِـي مُلَفَّقَـةً ... لَيْسَتْ بَخزٍّ وَلاَ مِـنْ نَسْـجِ كِتَّـانِ
فَإِنَّ في المَجْـدِ هِمَّـاتي، وفي لُغَتِـي ... فَصَاحَـةً وَلِسَـانِي غَـيْرُ لَحَّـانِ

فخجل معاوية من جوابه، وبالغ في إكرامه[١٧٦].

ومن أدب الحديث ألا يكثر المتحدث من الكلام، وأن يبتعد عن التشدق والمبالغة في الكلام، وإنما كره التشدق لما يدخله من الرياء والتصنع، ولما يخالطه من الكذب والتزيد،والمتشدق يتوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز مستخفًا بالمستمعين، وقد جاء في الحديث الشريف: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون» قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيقهون؟ قال: المتكبرون[١٧٧].

فالواجب على المتحدث أن يكون مخلصًا في حديثه لا يريد به سمعة أو رياء أو تكلفًا، يخاطب الناس بما يفهمون، يحسن الإيجاز والإفهام، وقد تحدث رجل في حضرة عمرو بن العاص فأكثر القول فقال عمرو: لو قصر في قوله لكان خيرًا له، يقول الرسول: «أمرت أن أتجوز في القول، فإن الجواز هو خير»[١٧٨].

ولعمرو أيضًا: الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل[١٧٩].

ومن الأدب ألاّ يتكلم الإنسان فيما لا يعنيه. قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[١٨٠].

---

[١٧٦] السويداء: شذرات لامعة، ص٢٨٢.

[١٧٧] الترمذي، حديث رقم ٢٠١٨.

[١٧٨] المقدسي: الآداب الشرعية، ٩٣/٢، والحديث رواه أبو داود، حديث رقم ٥٠٠٨.

[١٧٩] الأبشيهي: المستطرف، ٢٧١/١.

[١٨٠] الترمذي: كتاب الزهد باب ١١.

www.mtenback.com

وقال الشافعي: يارربيع، لاتتكلم فيما لايعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك و لم تملكها[١٨١].

وقال الشاعر حاثًا على الصمت وحفظ اللسان[١٨٢]:

لَعَمْرُكَ إِنَّ صمتَكَ أَلْفَ عَامٍ لأَصْلَحُ مِنَ كَلاَمِك بِالفُضُولِ

فَأَمْسِكْ أَوْ تَرَى لِلْقَوْلِ وَجْهًا يَبِينُ صَوابُهُ لِذوي العقُولِ

ومن أدب الحديث ألا يكثر المتحدث الكلام عن نفسه ومآثره ولو كان صادقًا. قيل لحكيم: ما أصدق القبيح؟ قال: ثناء المرء على نفسه[١٨٣].

وقال عبد الله بن المقفع معرضًا بمن يدعي العلم[١٨٤]: لاتكثرن ادعاء العلم في كل ما يعرض، فإنك من ذلك بين فضيحتين: إما أن ينازعوك فيما ادعيت فيهجم منك على الجهالة والصلف[١٨٥] وإما أن ينازعوك ويخلوا في يديك ما ادعيت فينكشف منك التصنع والمعجزة.

وقال تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[١٨٦].

وعلى المتحدث أن يكون حديثه في خير كَبِرِ الوالدين، أو صلة الرحم، أو الإصلاح بين الناس وتثقيفهم وتعليمهم وإفادتهم. ففي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[١٨٧].

---

[١٨١] الأبشيهي: المستطرف، (١/ ٢٦٩).

[١٨٢] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ص ٨٣.

[١٨٣] مبيض: الآداب الاجتماعية في الإسلام، ص ٤٦.

[١٨٤] ابن المقفع، عبد الله: آثار ابن المقفع، دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٩٧٨م) ص٢٩٨.

[١٨٥] الصلف: التكبر.

[١٨٦] سورة النجم: آية ٣٢.

[١٨٧] البخاري: كتاب الأدب برقم ٥٥٥٩.

www.mtenback.com

وعلى المرء أن يبتعد عن نشر الأخبار قبل أن يتأكد من صحتها، والنفس البشرية تميل إلى استماع الأخبار المشوقة، وربما تكون هذه الأخبار ملفقة أو كاذبة يراد بها المساس بالوطن أو بعض الناس من أصحاب الحل والعقد، وكثيرًا ما تقوم المشكلات والنزاعات جراء هذه الأخبار، وقد انتبه أجدادنا إلى هذا النوع من الأخبار وحذروا منها، يقول ابن المقفع[١٨٨]: «إياك والأخبار الرائعة، فتحفظ منها فإن الإنسان من شأنه الحرص على الأخبار، ولا سيما ما راع منها، فأكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالي ممن سمع، وذلك مفسدة للصدق ومرزأة بالمروءة، فإن استطعت ألا تخبر بشيء إلا وأنت به مصدق وألا يكون تصديقك إلا ببرهان فافعل، ولا تقل كما يقول السفهاء أخبر بما سمعت، فإن الكذب أكثر ما أنت سامع وإن السفهاء أكثر من هو قائل، وإنك إن صرت للأحاديث واعيًا وحاملاً كان ماتعي وتحمل عن العامة أكثر مما يخترع المخترع بأضعاف.

وعلى المتحدث أن يحتاط عندما يكلم الناس وأن يراعي بعض الآداب كما ذكرها صاحب المستطرف[١٨٩].

«وإذا جلست فلا تتكبر على أحد،وتحفظ من تشبيك أصابعك، والعبث بلحيتك، ومن اللعب بخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال أصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك، وكثرة التمطي والتثاؤب في وجود الناس وفي الصلاة. وليكن مجلسك هادئًا، وحديثك منظومًا مرتبًا. وأصغ إلى كلام مُجالسك، واسكت عن المضاحك، ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تلح في الحاجات، ولا تشجع أحدًا على الظلم، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا الالتفات إلى من ورائك، وهدِّئ غضبك وتكلَّم...»

---

[١٨٨] عبدالله بن المقفع: الأدب الكبير، ص١٧٣.

[١٨٩] الأبشيهي: المستطرف، ص ١٢٢.

www.mtenback.com

وكما للمتحدث أدبه الذي ينبغي أن يلتزم به فكذلك يحسن بالمستمع إذا أورد عليه المتكلم ما كان مرّ بسمعه من كلام ألا يقطع عليه أقواله إلى أن يستوعب منه القول، فذلك من باب الأدب، ولعله إذا صبر وسكت استفاد من ذلك فائدة لم تكن في حفظه. وعليه أن يتعلم حسن الاستماع كما يتعلم حسن الكلام، وذلك بأن يقبل على المتكلم بوجهه ونظره ليعي مايقول. قال ابن المقفع[١٩٠]: «اعلم فيما يضفي به صاحبك أن مما يهجن صواب ما تأتي به ويذهب بهجته ويزري بقبوله عجلتك في ذلك قبل أن يفضي إليك بذات نفسه. ومن الأخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه، والاعتراض فيه، والقطع فيه، ومن الأخلاق التي أنت جدير بتركها إذا حدث الرجل حديثًا تعرفه ألا تسابقه إليه وتفتح عليه وتشاركه فيه حتى كأنك تظهر للناس بأنك تريد أن يعلموا أنك مثل الذي يعلم، وما عليك أن تهنأه بذلك... وإذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول عليهم في البلاغة أو الفصاحة» وعلى المستمع أن يصغي جيداً لحديث محدثه، وأن ينصت لما يقول، وأن يظهر حديثه بالإنصات ويصونه من وصمة الالتفات.

ومن الآداب الواجبة على المتعلم إذا جلس في مجلس العلم النظر إلى المتحدث، والانتباه إلى تسلسل أفكاره وعدم الانشغال عنه بالتحدث مع الآخرين.

قال أبو تمام في أبيات قيِّمة حاثًا على حسن الإصغاء[١٩١]:

مَنْ لي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ ... وَجَهَلْتُ كَانَ الحِلْمُ رَدّ جَوَابِهِ

وَإِذَا صَبَوْتُ إِلى المُدامِ شَرِبْتُ مِنْ ... أَخْلاَقِهِ وَسَكَرْتُ مِنْ آدَابِهِ

وَتَرَاهُ يُصْغِي لِلْحَدِيْثِ بِطَرْفِهِ ... وَبِقَلْبِهِ وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِهِ

---

[١٩٠] ابن المقفع: آثار ابن المقفع ، ص٣١٢-٣١٣.

[١٩١] أبو تمام: ديوانه، ص٣٠.

www.mtenback.com

وعلى المستمع كذلك أن يجمع الأفكار التي لم يفهمها ليسأل عنها إذ لا خجل في العلم. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[١٩٢].

وعليه أن يكون صادق الرغبة في الاستفادة من العلم الذى يلقى عليه، مبتعداً عن كل ما يشغله من سفاسف الأمور، متواضعًا مع معلمه، متأدبًا أمامه، عارفًا فضله وقدره. وأن يبتعد المتعلم عن الجدل في الباطل بغية تعجيز الخصم ونسبة القصور له، أما الجدل بنية الوصول إلى الحق، ومقابلة الحجة بالحجة فهو محمود لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١٩٣]، وعليه كذلك أن يبتعد عن المراء[١٩٤].

قال المدائني: أوصى يحيى بن خالد ابنه فقال: «إذا حدثك جليسك حديثًا، فأقبل عليه، وأصغ إليه، ولا تقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له وكأنك لم تسمعه إلا منه، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليه[١٩٥].

فمن سوء المجالسة أن تقطع حديث جليسك،أو تبتدره إلى تمام ما ابتدأ به منه خبرًا كان أو شعرًا، تتم له البيت الذى بدأبه، تريه أنك أحفظ له منه. فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغى إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه.

قيل لداود الطائي: لم تركت مجالسة الناس؟ قال: مابقي إلاكبير يتحفظ عليك، أو صغير لايوقرك.

وعلى من بالمجلس ألا يخرج رجليه أمام الجلوس، وقد قيل حسن الجلوس من السياسة [١٩٦].

---

[١٩٢] سورة النحل: آية ٤٣.

[١٩٣] سورة النحل: آية ١٢٥.

[١٩٤] المراء: الاستمرار في الجدل بعد ظهور الحق مكابرة.

[١٩٥] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ص ٤٣.

[١٩٦] الأبشيهي: المستطرف، (٨٧/١).

www.mtenback.com

قال أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدى جليس»[١٩٧].

هذا ومن جلس مجلسًا للعامة فآداب ذلك ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم. ومن الأدب عدم ممازحة اللبيب والسفيه في المجلس، فقد قيل[١٩٨]: «إياك أن تمازح لبيبًا أو سفيهًا، فإن اللبيب يحقد عليك، والسفيه يتجرأ عليك، ولأن المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الإيمان والود، ويشين فقه الفقيه، ويجرئ السفيه، ويميت القلب، ويباعد عن الرَّب تعالى، ويكسب الغفلة والذلة. ومن بُلِيَ في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك.»

ولمجلس العلم والذكر والتلاوة آدابه الخاصة، فهو مجلس وقار وخشوع وانتباه، لذا كانت آدابه منسجمة ورفعة قدر هذا المجلس. ففي الحديث: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[١٩٩] فحري بمثل هذا المجلس أن نختار له المكان المناسب، والزمن المناسب، وأن يجلس فيه الجالس جلسة الخاشع الوقور. وعلى الجالس في هذا المجلس حسن الاستماع والإصغاء والإنصات، والامتناع عن اللغو، والتدخين، وكل ما يشغل عن التفكير في معاني الآيات امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢٠٠].

---

[١٩٧] الترمذي: حديث رقم ٢٤١٤.

[١٩٨] الأبشيهي: المستطرف، (١/٣٨٤).

[١٩٩] مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٤٨٦٧.

[٢٠٠] سورة الأعراف: آية ٢٠٤.

www.mtenback.com

وعلى الذاكر في هذه المجالس أن يكون خاشعًا ساكن الأعضاء، منخفض الصوت لئلا يشوش على غيره. وإذا كان الذاكر في جماعة فلا بأس من رفع الصوت باعتدال، لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٢٠١].

ومن جلس في مجلسٍ من المجالس، مجلس ذكر أو مجلس علم أو مجلس سلطان، فعليه أن يتخير الكلمات التي يلقي بها أمام مجالسيه وإلا سكت، لأن السكوت سلامة والكلام بالخير غنيمة، قال عليه الصلاة والسلام: «رحم الله عبدًا تكلم بخير فغنم، أو سكت فسلم».

فمقدار الرجل ومكانته تعرف بلسانه وبفضل حديثه وحلاوته. فقد ذكر عند الأحنف بن قيس: الصمت والكلام، فقال قوم: الصمت أفضل، فقال الأحنف: الكلام أفضل لأن الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرجال تلقيح لعقولها.[٢٠٢]

وقالوا: إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه.

وزهير بن أبي سلمى[٢٠٣] يرى أن كلام المرء يزيده أو ينقصه وذلك بحسب ما يتفوه به:

وَكائِنْ تَرَى مِنْ سَاكِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَكَلُّمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤَادُه ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ صُوْرَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

---

[٢٠١] سورة الأعراف: آية ٢٠٥.

[٢٠٢] ابن عبد البر: بهجة المجالس ص ٥٤.

[٢٠٣] زهير بن أبي سلمى: شعره، ص ٢٨-٢٩.

www.mtenback.com

والخليل بن أحمد يرى أن اللسان البهي هو جمال المرء:

أَيّ شَيءٍ مِـــنْ اللّبَــاسِ عَلَــى ذِي السَّرْوِ[٢٠٤] أَبْهَى مِن اللّسَانِ البَهِـــيِّ

وقال ابن سيرين[٢٠٥]: «لا شيء أزين للرجل من الفصاحة والبيان».

وجلوس الرجل في مجلس العلم والأدب فيه فوائد جمة يكتسب من ورائها الحكم والآداب وفضائل الأخلاق.

والشاعر يحث على مجالس العلم والخير ويدعو الناس إلى ترك مجـــالس اللهـــو والإثم، قال:

اجْعَلْ جَلِيْسَــكَ مَجْمُوعًــا تُطَالِعُــهُ لِتَسْــتَفِيدَ مِــنَ الآدابِ وَالحِكَـــمِ

وَاترُكْ مَجَــالِسَ أَقْــوَامٍ تُجَالِسُــهُمْ فَتَكْسَبَ الإِثمَ مِنْ سَمْعٍ وَمِنْ كَلِـــمِ

والجلوس مع الأدباء عند الشاعر علي بن الجهم خير له من ملء الأرض ذهبًـــا وفضة لأنها تزيل همومه، قال[٢٠٦]:

لَجَلْسَةٌ مَع أَدِيْـــبٍ فِــي مُذَاكَــرَةٍ أَنْفِي بِهَا الهَمَّ أَوْ أَسْــتَجْلِبُ الأَدَبَــا

أَشْهَى إِلَيَّ مِـــنَ الدُّنْيَــا وَزُخْرُفِهَــا وَمِلْئِهــا فِضَّــةً أَو مِلْئِهَــا ذَهَبَـــا

قد تثور الكثير من الفتن وتنشأ العديد من الصراعات بسبب كلمات طائشة، أو اتهامات غاضبة، أو نقل خاطئ لكلمات خرجت من قائلها بلا وعي في حالة غضب، أو بلا تفكر وتدبر في عاقبتها. فالمتكلم ينبغي له إذا أراد أن ينطق بكلمة أن يتدبرها في

---

[٢٠٤] السرو: المروءة في شرف.

[٢٠٥] ابن عبد البر: بهجة المجالس ص ٥٦.

[٢٠٦] علي بن الجهم: ديوانه، تحقيق: خليل مردم، دار بيروت، ط٣ (١٩٩٦م) ص٧٠-٧١.

www.mtenback.com

نفسه قبل إخراجها، فإن ظهرت مصلحة تكلم وإلا أمسك فالضابط الأساسي لحفظ اللسان هو الحذر من التسرع في الكلام، والتدبر والتفكر قبل إخراج الكلمة ووزنها قبل إخراجها.

وحفظ اللسان يقود إلى البعد عن اللغو، ومن كثر لغطه كثر غلطه.

قال الشاعر:

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ رَائِدَ عِلْمِهِ ... عِنْوَانُهُ فَانْظُرْ بِمَاذَا تُعَنْوِنُ

وَلا تَعْدُ إِصْلاَحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ ... يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ

وَلاَ خَيرَ فِي اللَّفْظِ الكَرِيْمِ اسْتِمَاعُهُ ... وَلا فِي قَبِيْحِ اللَّحْنِ والقَصْدُ أَزْيَنُ

اجتمع قسٌّ بن ساعدة، وأكثم بن صيفي، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصر، وقد وجدت خصلةً إن استعملها الإنسان سترت العيوب كلَّها، قال: وماهي؟ قال: حفظ اللسان[٢٠٧].

ومن الناس من يستطيل بكلامه، ويلدغ غيره، ويبسط لسانه مستعرضًا نفسه متكلفًا، ويعلو بكلامه على الآخرين، رافعًا صوته عليهم، فارضًا نفسه على مجلسهم.

وقال ابن حمديس في فضل السكوت[٢٠٨]:

لِسَانُ الفَتَى عَبْدٌ لَهُ فِي سُكُوتِهِ ... وَمَوْلًى عَلَيْهِ جَائِرٌ إِنْ تَكَلَّمَا

فلا تُطْلِقَنْهُ وَاجْعَلِ الصَّمْتَ قَيْدَهُ ... وصَيِّرْ إذا قيّدتَهُ سِجْنَهُ الفَمَا

ويقول الفضل بن الحباب الجهمي، وقيل آسية المجنونة[٢٠٩]:

---

[٢٠٧] الأبشيهي: المستطرف، (٢٦٨/١).

[٢٠٨] ابن حمديس، عبد الجبار بن أبي بكر: ديوانه، دار بيروت، بيروت، ص ٤٧٧.

[٢٠٩] السويداء: شذرات لامعة، ص٢٢٤.

www.mtenback.com

قَالُوا نَرَاكَ تُطِيلُ الصَّمْتَ قُلْتُ لَهُمْ ... مَا طُولُ صَمْتِي عَنْ عَيٍّ وَلا خَرَسِ
لَكِنَّهُ أَحْمَدُ الأَمْرَيْنِ عَاقِبَةً ... عَنِّي وَأَبْعَدُهُ مِنْ مَنْطِقٍ شَكِسِ
أَأَنْشُرُ الْبَزَّ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ ... أَمْ أَنْثُرُ الدُّرَ لِلْعُمْيَانِ فِي الْغَلَسِ
قَالُوا نَرَاكَ أَدِيبًا غَيْرَ ذِي خَطَلٍ ... فَقُلْتُ هَاتُوا أَرُونِي وَجْهَ مُقْتَبِسِ

أدب النوم:

أكثر الشعراء والأدباء من ذكر النوم وما يتصل به من ذكر الطيف والخيال، وتحدثوا عن أمانيهم التي تحققت وهم نيام. وتصرفوا بإبداع وتفنن في كل ما يتعلق به من المعاني، وطوّعوا الألفاظ وولدوها، وجاؤوا بالجديد والبديع مدحًا وذمًا. كما أنهم بينوا آداب النوم وما يجب على المرء أن يفعله إذا أوى إلى النوم، وبينوا فوائد النوم للمخلوقات البشرية ولكنهم حذروا من كثرته أو قلته، ومما جاء في مدحه قول الشاعر معروف الرصافي[٢١٠]:

حَبَّذَا النَّوْمُ فَهْوَ لِلرُّوحِ رَوْحٌ ... مِنْ عَنَاءِ الْهُمُومِ وَالأَتْرَاحِ
وَهْوَ تَجْدِيدُ قُوَّةٍ وَنَشَاطٍ ... لِجُسُومٍ رَوَازِحٍ أَتْرَاحِ
حَبَّذَا النَّوْمُ تَرْتَقِي النَّفْسُ فِيهِ ... عَالَمًا فَوْقَ عَالَمِ الأَشْبَاحِ

فالنوم حاجة عضوية طبيعية لابد منه ليرتاح البدن ويقوى على العمل بعد أخذ حقه من الراحة، ولكنه إذا زاد عن هذه الحاجة صار ضياعًا للوقت وهدرًا لطاقة العمل الذي يجب أن يكون هو الغاية من الراحة حتى إذا تجدد النشاط صار الإنجاز للعمل مضاعفًا وقد حذر المربون من كثرة النوم التي تزيد عن حاجة الجسم.

---

[٢١٠] معروف الرصافي: ديوانه، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ص١٩١.

www.mtenback.com

وروي أن أمَّ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له: يا بني لا تكثر النوم بالليل، فإن صاحب النوم يجيء يوم القيامة مفلساً[٢١١].

وأنشدوا[٢١٢]:

يَـا أَيُّهَـا الرَّاقِـدُ كَـمْ تَرْقُـدُ ... قُـمْ يَـاحَبِيبِي قَـدْ دَنَـا المَوْعِـدُ

وَخُـذْ مِـنَ اللَّيْـلِ وَسَـاعَاتِهِ ... حَظًّـا إِذَا مَـا هَجَـعَ الرُّقِـدُ

مَـنْ نَـامَ حَتَّـى يَنْقَضِـي لَيْلُـهُ ... لَـمْ يَبْلُـغِ المَـنْزِلَ لَـوْ يَجْهَـدُ

وقال لقمان لابنه:«يابنى إياك وكثرة النوم والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقًا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق»[٢١٣].

وللنوم أوقات فليس كل وقت يصلح للنوم، فالليل كما هو معروف عند البشر هو للنوم، أما في النهار فهناك أوقات جائزة للنوم وأوقات مكروهة، فالوقت الجائز هو نوم القيلولة أما المكروه، فنوم الضحى وبعد العصر.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص[٢١٤]: النوم على ثلاثة أوجه، نوم خُرق ونوم خَلق، ونوم حُمق. فأما نوم الخرق فنومة الضحى، يقضي الناس حوائجهم وهو نائم. وأما نوم الخلق، فنوم القائلة نصف النهار، وأما نوم الحمق، فالنوم حين تحضر الصلوات.

وقيل إنّ نومة الضحى تورث الغم والخوف، ونومة العصر تورث الجنون، وأنشد بعضهم[٢١٥]:

---

[٢١١] الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص٤٠٧.

[٢١٢] المصدر السابق، ج٢، ص٩٨.

[٢١٣] ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج٢، ص٩٨.

[٢١٤] المصدر السابق، ص ٨٨

[٢١٥] الأبشيهي: المستطرف ٢/٤٠٧-٤٠٨.

www.mtenback.com

أَلا إِنَّ نَوْمَاتِ الضُّحَى تُورِثُ الفَتَى خَبَالاً وَنَوْمَاتِ الْعُصَيْرِ جُنُونَا

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مرّ يومًا بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له:قم لا أنام الله عينيك. أتنام في ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد، أو ما سمعت ما قالت العرب: إنها مكسلة مهزلة منساة للحاجة.

وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحية، ويقول اللهم إن النار منعتني النوم، وأنشدوا في المعنى[٢١٦]:

غَيَّرْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي يَوْمًا فَفَارَقَنِي السُّكُونْ

قُلْ لِي فَأَوَّلُ لَيْلَتِي فِي حُفْرَتِي أَنَّى أَكُونْ

وقال علي بن الجهم يهجو قومًا[٢١٧]:

أَكْثَرُ مَا يَعْرِفُهُ الْقَوْمُ الأَكْلُ وَالرَّاحَةُ والنَّوْمُ

نَوكَى[٢١٨] مياسيرٌ إِذا عُدت الـ أيامُ لم يُعْرَفْ لهم يَومُ

فقد هجاهم بكثرة النوم، والقعود عن التطلع للزعامة والمعالي بعدم خروجهم في الغارات وأيام الحروب.

وكان بعض العرب قديمًا ينامون في سفرهم على الدواب، إلا أنهم شعروا أن هذا النوم لا يعطي راحةً للجسم، وإن كان لابد من النوم، فكما للنوم أوقات فإن له أماكن لا بد منها، حتى يرتاح الجسم من عنائه الشديد، فقد عرفت الخانات قديمًا في طرق السفر حتى تحط القوافل فيها ويرتاح الإنسان بها وكذلك الدواب.

---

[٢١٦] الأبشيهي: المستطرف (٢/٤٠٩).

[٢١٧] ابن عبد البر: بهجة المجالس ج٢ ص ٨٩

[٢١٨] النوكى: جمع أنوك، وهو الأحمق.

www.mtenback.com

وتعرض بعض الشعراء لوصف القوافل وهي في حالة السّرى، وقد امتلك الركب النعاس وداهمهم النوم، يقول حطيم[٢١٩]:

تَقَوْلُ وَقَدْ مَالتْ بِهِ نَشْوَةُ الكَرَى ... نُعَاسًا وَمَنْ يَعْلَقْ سُرى اللَّيْلِ يَكْسَلِ

أَنِخْ نُعْطِ أَنْضَاءَ النُّعَاسِ دَوَاءَهَا ... قَلِيلاً، وَرَفِّهْ عَنْ قَلائِصَ ذبّلِ

و لم يستطع ذو الرمة وصحبه النوم على ظهور الدواب، فنومهم لا يدوم، وهو متقطع وسريع في انقضائه مثل شرب الطير للماء في سرعته، يقول[٢٢٠]:

وَنَومٍ كَحَسْوِ الطّيرِ نَازعْتُ صُحْبَتِي ... عَلَى شُعَبِ الأَكْوارِ فَوْقَ الحَوَارِكِ

تَمَطّوا عَلَى أَكْوارِهَا كَلّ ظُلْمَةٍ ... ويهماءَ تطمي بالنُّفُوسِ الفَوَاتِكِ

يَكادُ المراحُ الغرْبُ يُمسِي غُرُوبَهَا ... وَقَدْ جَرَّدَ الأَكْتَافَ مَورُ المَوارِكِ

وقديمًا صوّر أبو نواس الركب وقد ملكهم سلطان النوم، ووضعوا أرؤسهم على مناكبهم بأنهم قوم بلا أعناق، يقول[٢٢١]:

رَكْبٌ تَسَاقَوْا عَلَى الأَكْوَارِ بَيْنَهُمُ ... كَأْسَ الكَرَى فَانْتَشَى المَسْقِيُّ والسَّاقِي

كَأَنَّ أَرْؤسَهُمْ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا ... عَلَى المَنَاكِبِ لم تُوْصَلْ بِأَعْنَاقِ

وقال أحد بني سعد يصف أحدهم بعد أن دعاه من نومه[٢٢٢]:

فَقَامَ يُصَارِعُ البُرْدَيْنِ لَدْنًا ... يَقُوتُ العَيْنَ مِنْ نَوْمٍ شَهِي

يصارع البردين: يريد أنه قام يتمايل من النعاس فكأنه يصارع برديه.

---

[٢١٩] أبو تمام: الحماسة، بشرح المرزوقي، ج٢، ص ١٨١٥.

[٢٢٠] ذو الرمة: ديوانه، ص١٧٣٠-١٧٣١

[٢٢١] أبو نواس، الحسن بن هانئ: ديوان أبي نواس، دار صادر بيروت، (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ص٤٤٦

[٢٢٢] أبو تمام: الحماسة، تحقيق: د. عبد الله عسيلان، الرياض، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج٢، ص٤١٣.

www.mtenback.com

أما في عصرنا الحاضر فقد تبدلت الحال، وصار السفر بوسائل النقل الحديثة وإن كان أكثرها في حافلات النقل أو السيارات الخاصة، وإن كانت العرب قديمًا تنام على دوابها إذا داهمهم النعاس فإن المخاطر في ذلك قليلة بل نادرة، أما في يومنا فيجب على المسافرين وخاصة الذين يقودون سياراتهم أن ينتبهوا لذلك فالمخاطر جمة، والغفلة كارثة، فمن الآداب في أيامنا هذه أن يكون السائق صحوًا نشطًا قد أخذ حاجته من النوم قبل السفر، وعليه إذا تعب من سفره وشعر بالنعاس ألا يكابر على نفسه، بل عليه أن يقف عند أول نُزلٍ أو محطة، وينام ما استطاع من ذلك، حتى يكمل رحلته في سلام وأمان.

ولو نظرنا في سجلات حوادث الطرق لوجدنا أكثرها بسبب غلبة النعاس على السائقين، ولوجدنا أرقامًا مذهلة بعدد الضحايا من الأسر أو الركاب.

آداب الزيارة:

الزيارة سلوك إنساني راق لم تخل منها المجتمعات منذ قدم التاريخ، فيها تتلاقى الأجساد والأرواح في جو من المحبة والوداد، يتساءلون فيما بينهم عن أحوالهم وصحتهم وجميع شؤونهم.

ولابد للزيارة من آداب على المرء أن يطلع عليها حتى تصبح زيارة نافعة للطرفين، وهذه الآداب عرفها العرب وساروا عليها وحثوا على الفضائل.

والتآلف سبب القوة والمنعة والمرء كثير بإخوانه قليل بنفسه، والزيارة سبب في الكثرة لأنها تنأى عن الجفاء والمقاطعة، وقد حث الأدباء والمربون على زيارة الإخوان الخالصة التي تعود بالنفع على الزائر والمزور، قال الشاعر[٢٢٣]:

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ

[٢٢٣] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٣٩٠.

www.mtenback.com

لاَ يَمْنَعَنَّكَ بُعْدٌ مِنْ زِيَارَتِهِ إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

ففي الزيارة تتلاقى الأرواح وتسعد أيما سعادة وتسمو إلى عالم المحبة، فقد قيل: «المحبة شجرة أصلها الزيارة»[٢٢٤].

وكتب رجل إلى صديق له يستزيره: طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند التلاقي، وقد جعلك الله للسرور نظامًا، وللأنس تمامًا، وجعل المشاهد موحشةً إذا خلت منك[٢٢٥].

إنه يشكو من البعد والهجران ويطلب من صديقه أن يزوره حتى تتلاقى المحبة كلها في هذا المجلس.

وقال سهل بن هارون[٢٢٦]:

وَمَا العَيْشُ إِلاَّ أَنْ تَطُولَ بَنَائِلٍ وَإِلاَّ لِقَاءُ المَرْءِ ذِي الخُلُقِ العَالِي

فالطيور على أشكالها تقع، والزائر يزور من يحبه ومن يوافق هواه والكرماء من الناس يتزاورون، والعليل منهم يصح إن لاقى صديقه، وفي ذلك قال الشاعر[٢٢٧]:

وَمَالِيَ وَجْهٌ فِي اللِّئَامِ وَلاَ يَدٌ وَلَكِنَّ وَجْهِي فِي الكِرَامِ عَرِيْضُ

أَصِحُّ إِذَا لاَقَيْتُهُمْ وَكَأَنَنِي إِذَا أَنَا لاَقَيْتُ اللِئَامَ مَرِيْضُ

هذه كانت أخلاق العرب في الزيارة يحيونها ويرغبون فيها ولكن وضعوا لها ضوابط وآداب حتى تكون ناجحة مثمرة، ومن هذه الآداب أن تكون الزيارة في الأوقات المناسبة التي تعارف الناس عليها فلا تكون وقت الطعام أو القيلولة أو النوم.

---

[٢٢٤] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٣٩٠.

[٢٢٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص٣٢.

[٢٢٦] المرجع السابق، ج٢، ص٣٣.

[٢٢٧] المرجع السابق نفسه.

www.mtenback.com

وعلى الزائر أن يخفف من زيارته للأصدقاء أو الأقارب، لأن الزيارات الكثيرة يصاحبها الملل والضجر وينعكس ذلك على العلاقات بين الطرفين، وفي الحديث الشريف: «زر غبًا تزدد حبًا»[٢٢٨] أي قليلاً مرة بعد مرة، ويقال غبت عليه تغب غبًا إذا أتيت يومًا بعد يوم، والمعنى أقلل من زيارتك ما استطعت ليكمل سرورك وتدوم محبتك.

وصار هذا الحديث قاعدة عامة عند العرب حتى أشكل عند كثير من الناس وعدوه مثلاً يضرب، وأخذ الشعراء هذا الهدي وضمنوه شعرهم فقال أحدهم[٢٢٩]:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَتَابِعًا ... وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا

أي إن شئت أن تكون مكروهًا فزر كل يوم والعكس صحيح. وقال شاعر آخر[٢٣٠]:

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيْقَ يَرَاكَ كَالثَّوب اسْتَجَدَّهْ
إنَّ الصَّدِيْقَ يُمِلُّهُ أَلاَّ يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهْ

والتوسط في الزيارة هو الكمال فيها لأن الإكثار منها ممل والإقلال منها مخل وفي ذلك قال الشاعر[٢٣١]:

عَلَيْكَ بِإِغْبَابِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا ... إِذَا كَثُرتْ صَارَتْ إِلَى الهَجْرِ مَسْلَكَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الغَيْثَ يُسْأَمُ دَائِمًا ... وَيُسْأَلُ بِالأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا

---

[٢٢٨] المنذري: الترغيب والترهيب، ج٣، ص٣٦٦، وقال رواه الطبراني ورواه البزار من حديث أبي هريرة، وفي عيون الأخبار: ج٢، ص٣٠.

[٢٢٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص٣٣.

[٢٣٠] المصدر السابق ٢/٣٣.

[٢٣١] الأبشيهي: المستطرف ١/٣٩٠.

www.mtenback.com

وفي هذا قال لبيد[٢٣٢]:

تَوَقَّفْ عَنْ زِيَارَةِ كُلِّ يومٍ إِذَا أَكْثَرْتَ مَلَّكَ مَنْ تَزُوْرُ

وهناك آداب للزائر يجب أن يراعيها وخاصة في وقتنا هذا فعليه أن يأخذ موعدًا للزيارة قبل الشروع إليها وخاصة أن وسائل الاتصالات صارت ميسرة، وعليه عند وصوله أن يعرف آداب الاستئذان، وأن يلقى من يزوره ببشاشة وصدر رحب، وعليه عند دخوله إلى المنزل ألا يلتفت إلى جوانب البيت، وأن يجلس حيث يشير إليه صاحب المنزل.

وعلى صاحب المنزل آداب أيضًا، فأولها البشاشة والمصافحة، ففي الأثر «من أخلاق النبيين البشاشة إذا تراءوا والمصافحة إذا تلاقوا»[٢٣٣].

وعليه أن يكرمه ويوسع له المجلس ويصغي إلى حديثه إذا تكلم.

وعليه أيضًا أن يصاحبه إلى المجلس المريح، وأن يكثر من الأسئلة عليه حتى تذهب وحشة اللقاء عن الزائر، وأن يعد له ما يستحقه من الضيافة والكرم.

وعلى صاحب البيت أن يستقبل ضيفه باللباس النظيف، والهيئة الجميلة والروائح العطرة، ومن آدابه ألا يتشاغل عنه، كأن ينظر في كتاب أو صحيفة، أو يشاهد التلفاز، أو ينظر إلى ساعته كل حين أو يتثاءب فهذه الأشياء تشعر الزائر بعدم الرغبة في زيارته، وعلى الزائر أيضًا أن يكون في هيئة جميلة، ولباس مناسب وأن يختار الوقت المناسب لإنهاء الزيارة عند شعور أي تململ من صاحب الدار، وألاّ يكون كما قال الشاعر[٢٣٤]:

فَمَا الفِيْلُ تَحْمِلُهُ مَيِّتًا بِأَثْقَلَ مِنْ بَعْضِ جُلاَّسِنا

---

[٢٣٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص١٢٩.

[٢٣٣] الأبشيهي: المستطرف، ١/٣٨٠.

[٢٣٤] المصدر السابق، ١/٣٥٨.

www.mtenback.com

وفي عصرنا الحالي لابد من مراعاة بعض الآداب المستحدثة، فكما هو معروف أصبح أكثر الناس مشغولين في أعمالهم، فيجب الحذر من زيارة الصديق في عمله فقد يؤدي ذلك إلى إرباك في العمل وتعطيل لشؤون الآخرين، وكذلك على الزائر إحضار هدية لمن يزوره إن كانت أعراف البلدان تقتضي ذلك، وللقول المأثور: «تهادوا تحابوا» وعلى الزائر أيضًا ألا يصطحب معه أحدًا من الأصدقاء إلا بمعرفة صاحب الدار، أو بإخباره عمن سيحضره، وإن كان ترك ذلك أولى فربما يحرج صاحب البيت، ويستحي عن قول ما في صدره، وكذلك يحبذ عدم اصطحاب الأطفال الصغار في الزيارة لما يسببونه من إزعاج وفوضى قد تفسد جو الجلسة.

آداب العيادة:

من الزيارة عيادة المريض، إلا أنها تأخذ طابعًا خاصًا لحساسيتها وقد يدل اسمها على معناها فقد سميت عيادة بسبب قصرها وتكرارها فأول آدابها ألا يطيل الزائر الجلوس عند المريض لأن المقام لا يستدعي ذلك فقد يكون المريض يئن من الوجع أو في حالة لا يحب أن يراه عليها أحد أو غير ذلك.

ومما جاء في ذلك: «مرض أبو عمرو بن العلاء، فدخل عليه رجل من أصحابه، فقال له: أريد أن أسامرك الليلة. قال له: أنت معافى وأنا مبتلى، فالعافية لا تدعك أن تسهر، والبلاء لا يدعني أن أنام وأسأل الله أن يهب لأهل العافية الشكر، ولأهل البلاء الصبر»[٢٣٥].

وقال بكر بن عبد الله لقوم عادوه فأطالوا عنده: المريض يعاد، والصحيح يزار[٢٣٦].

---

[٢٣٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، (٢٦٢/٢).

[٢٣٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار (مجلد ٤٩/٢).

www.mtenback.com

وقال الشاعر[٢٣٧]:

عِيَادةُ المرءِ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ وَجِلْسَةٌ لَكَ مِثْلُ اللَّحْظِ بِالعَيْنِ

لا تُبْرِمَنَّ مَرِيْضًا فِي مُسَاءَلَةٍ يَكْفِيكَ مِن ذَاكَ تَسْآلٌ بِحَرْفَيْنِ

ومن آداب العيادة أيضًا أن يكون الحديث أمام المريض مريحًا يقصد منه التخفيف عنه ومواساته وإشعاره الثقة بالنفس، لا يكون الحديث عن الموت والآلام والمعاناة، فقد دخل رجل على عمر بن عبدالعزيز يعوده في مرضه، فسأله عن علته، فلما أخبره قال: من هذه العلة مات فلانٌ ومات فلان. فقال له عمر: إذا عُدْتَ المرضى فلا تَنعَ إليهم الموتى وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا[٢٣٨].

ومن الآداب أيضًا عدم الإكثار من الأسئلة للمريض وخاصة عن سبب مرضه لأنه قد يكون تحدَّث به لكل عائد وملَّ من ذلك، ومن طرائف ذلك أن الأعشى مرض فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله، فكتب قصته في كتاب وجعله عند رأسه، فإذا سأله أحد قال: عندك القصة في الكتاب فاقرأها[٢٣٩].

وقد ذكر الزهاوي في كتابه أدب الطبيب بعض الآداب التي يجب أن تراعى في العيادة مثل: «ينبغي للطبيب إذا دخل إلى المريض من يستثقله أن يلبث قليلاً، ثم يقول: إنه ينبغي للمريض أن يهدأ، ليقوم من عنده، فإن ذلك يحدث في فكره لذة، وفي حسن بصره قد يلتذ برؤية أشياء من ألوان وأشكال وزهر النبات ، وينبغي للطبيب أن يسأل أهل المريض عن الأشياء التي كان يلتذ بها فيأمر بإدخالها عليه إلى البيت الذي فيه المريض، ولا يخبره بما يغمه من خبر تجارة خسرت له، ولا يذكر بحضرته ذكر ميت ولا

---

[٢٣٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢/٢٦٢.

[٢٣٨] المصدر السابق نفسه.

[٢٣٩] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

خبرًا رديئًا لمريض آخر ولا ينبغي للعائد أن يستخبر عن مرضه استخبار متقـــصٍّ، ولا ينبغي له أيضًا أن يشير عليه بدواء أو غذاء، فيضر به، ويفسد على الطبيب عمله، وربما كان ذلك سببًا لهلاك المريض، ولا ينبغي للعائد أن يعارض الطبيب بحضرة المريض متى لم يكن من أهل العلم، فيوقع له الشك فيما وصفه الطبيب[٢٤٠].

وعلى الزائر أن يدعو للمريض ويسأل له العافية، وأن يبشره بالشفاء والأجـــر، وفي حديث أم العلاء «عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة فقال: أبشري يا أم العـــلاء، فإنَّ مرض المسلم يذهبُ الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الحديد»[٢٤١].

وعلى الزائر أن يبادل مريضه العواطف الرقيقة وأن يرمقـــه بنظـــرات الحنـــان والأخوة، وأن يسمو بحديثه إلى الإرهاف الذي يريح المريض، قال الشافعي[٢٤٢]:

مَـــرِضَ الحَبِيْـــبُ فَعُدْتُـــــهُ ... فَمَرِضْـــتُ مِـــنْ حَـــذَرِيْ عَلَيْـــهِ
فَـــأَتَى الحَبِيْـــبُ يَعُوْدُنِـــــي ... فَشُـــفِيْتُ مِـــن نَظَـــرِي إِلَيْـــهِ

وقال آخر في بعض الأمراء[٢٤٣]:

وَاعْتَـــلَّ فَـــاعْتَلت الدُّنَيـــا لِعِلَّتِـــــهِ ... وَاعْتَلَّ فَاعْتَلَّ فِيْهِ البَـــأْسُ والكَـــرَمُ
لَمَّـــا اسْتَقَلَّ أَنَارَ المَجْـــدَ وانْقَشَـــعَتْ ... عَنْهُ الضَّمَانَةُ والأَحْـــزَانُ والسَّـــقَمُ

---

(٢٤٠) الزهاوي، إسحاق بن علي: أدب الطبيب، تحقيق: مريزن عسيري، مركز الملك فيصـــل للبحـــوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، (١٤١٢هـــ) ص١٧٢-١٧٣.

(٢٤١) أخرجه أبو داود، حديث رقم ٣٠٩٢.

(٢٤٢) المقدسي: الآداب الشرعية ٢/١٩٠، والعقد الفريد، ٢/٢٦٢، بغير نسبه.

(٢٤٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/٢٦٤.

www.mtenback.com

آداب المهن:

المَهْنة والمِهْنَة: الحذق بالخدمة ونحوه، وقد مهن يمهن مهنا إذا عمل في صنعة، وفي الحديث: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين يوم جمعته سوى ثوبي مهنته»[٢٤٤].

ولابد أن تكون لكل إنسان مهنة يقتات منها، والمهنة شرف له وقد تعددت المهن وأصبحت كثيرة وخاصة في وقتنا هذا، فإذا الطبيب، والمدرس، والموظف، والنجار، والحداد، وغير ذلك من عشرات المهن، ولكل مهنة من المهن آداب يجب أن تراعى عند العمل وهي آداب عامة، تنبع من القيم ومكارم الأخلاق، كالمحافظة على المواعيد، وإتقان العمل، وخدمة الناس، والإخلاص والتفاني في العمل، وهناك آداب خاصة لكل مهنة تختلف في بعضها عن المهن الأخرى وهي مرتبطة بنوع المهنة التي يحترفها المرء.

ومما أثر عن أجدادنا العرب أنهم التفتوا إلى هذا النوع من الآداب منذ نهاية القرن الثاني للهجرة فصنفوا فيه مئات الكتب والرسائل بينوا من خلالها ما ينبغي أن يكون عليه صاحب المهنة من التزام بمبادئها الأساسية، ومن هذه المصنفات ظهرت: أدب السياسة، وأدب الوزارة، وأدب القضاء وأدب العلم والمتعلمين، وأدب الطبيب وغيرها.

وقد بينت هذه المصنفات ما ينبغي أن يكون عليه صاحب المهنة من آداب وسلوك تعود بالنفع عليه وعلى من يتعامل معهم.

ومن هذه المصنفات على سبيل المثال كتاب «أدب الطبيب» لإسحاق بن علي الزهاوي يذكر فيه بعضًا من الآداب الجليلة، إذ ذكر فيه ما يجب أن يتأدب به الطبيب في تعامله وسلوكه المهني، وأخلاقه، وعلاقته بعامة الناس وكبرائهم وبالأصحاء، والمرضى، وماذا يجب أن يكون عليه الطبيب في علمه وطبه وتطبيبه.

---

[٢٤٤] ابن منظور: لسان العرب، مادة مهن.

www.mtenback.com

يقول في الباب الثالث وتحت عنوان: فيما ينبغي للطبيب أن يتوقاه ويحذره ينبغي للطبيب ألا يكون حقودًا ولا حسودًا، ولا عجولاً ولا ملولاً ولا صلفًا، ولا شرهًا، بل يكون للذنب صافحًا، وللناس محبًا، ثابتًا، متوقفًا، وبالأمر عارفًا، لينًا متواضعًا، وإلى الخيرات مسارعًا، قنوعًا شكورًا وبحسن الثناء مسرورًا، وعن المآثم عفيفًا، وفي باطنه وظاهره نظيفًا[٢٤٥].

ومن أدب الطبيب ألا يتوانى في إسعاف الجرحى والمصابين ولو في ساعة متأخرة في الليل، وألا يشترط الأجرة مسبقًا وعليه أن يساعد الفقراء ما أمكن، وأن يقدم لهم الدواء إن لم يستطيعوا شراءه وأن يبتعد في مهنته عن الجشع والطمع وأن تكون خدماته الإنسانية فوق كل اعتبار، وعليه أيضًا ألا يكشف أسرار المرضى للآخرين وخصوصًا في أيامنا هذه إذ كثر الاختصاص وأصبحت هناك أسرار في بعض العيادات كالعيادات النفسية والنسائية وغير ذلك.

أما في آداب المعلم فنذكر أن المعلمين سموا قديمًا المؤدبين وذلك لتمتعهم بقدر كبير من الأدب والأخلاق، وكانت العرب قديمًا حريصة على تأديب أولادها فكانوا يكلون هذه المهمة إلى من عرف عنه حسن السيرة والأدب والعلم والورع، وفي يومنا هذا أصبحت مهنة التعليم من أكثر المهن انتشارًا في العالم كله. وكان على المعلم أن يتحلى ببعض الصفات التي لابد منها لتكون مهنته بحق من أشرف المهن ومن أهمها: مراعاة النّشء الصغير وتأديبه رويدًا رويدًا، والبعد عن الشرح الممل أو الاختصار المخل، كما عليه أن يستوعب مشكلات أبنائه ويقوم بها وأن يتقرب منهم حانيًا عطوفًا رفيقًا بهم صديقاً لهم كلهم، وألا يميز طالبًا على آخر وأن يخلل دروسه روح الدعابة والتشويق وغير ذلك من الأمور المحببة لطلبة العلم.

---

[٢٤٥] الزهاوي: أدب الطبيب، ص ١٦٤.

www.mtenback.com

وعليه أن يكون حسن السيرة مع زملائه ومديريه، لا يضيق ذرعًا من أمر أوكل إليه أو مهمة انتدب إليها، مطلعًا على كتب الآداب وقصص الأولين ناقلاً المهم منها لزملائه وطلابه.

وعليه أن يكون على صلة طيبة بأولياء الأمور يبدي لهم اهتمامه بأبنائهم في صغائر الأمور وكبارها واضعًا العلاج المناسب لحل ما عضل منها، وعليه أن يتقبل ملاحظاتهم بصدر رحب وكذلك أن تكون ملاحظاته عن الطلاب في سياق الأدب والمصلحة العامة.

أما آداب العاملين في المؤسسات والشركات فلا تعدو عن الآداب السابقة من معاملة الزملاء والمسؤولين معاملة حسنة بعيدة عن الجفاء والنفاق، وأن يضع العامل نصب عينيه مصلحة الشركة التي يعمل فيها محتفظًا بأسرارها، وأسرار العاملين معه إن كان عمله يقتضي ذلك. وأن تكون معاملته مع الزبائن معاملة حسنة تعكس مستوى طيبًا ولائقًا عن المهنة التي يعمل بها، وإن كان العامل في الدوائر الحكومية فعليه زيادة عما سبق أن يحل مشكلات المراجعين ولا يؤجل معاملاتهم إلى الأيام القادمة، وأن يكون خير عون ورفيق لهم.

والاستفاضة بذكر جميع المهن وآدابها قد يضيق به المقام هنا، وخلاصة القول إن العامل مهما كان عمله عليه أن يتحلى بالقيم والمثل العليا وأن يكون على جانب كبير من الأدب والإخلاص في العمل وأن يبتعد عما يفسد جوّ العمل كالغيرة والنميمة والغيبة، وغير ذلك من الأمور التي لا ترقى إلى الإنسانية بشيء.

هذه بعض الآداب التي تعرضنا لها وهي جزء يسير من مجموعة متكاملة من السلوك البشري، أكدت عليها العرب قبل الإسلام وبعده، وغدت أيامهم الماضية تعاليم ونصائح ووصايا لأبنائها، تبثها في أشعارها وأقوالها وفي الكتب العديدة لتكون

www.mtenback.com

نبراسًا لهم عبر القرون الطويلة، ونبعًا يرتوي منه من أراد أن يكون ذا شأن في حياتـــه، أديبًا أريبًا مربيًا يعرف ما له وما عليه، ويعيش في مجتمعه قرير العين مطمئن البال، ينفعُ وينتفع به، يبحث عن الخير والكمال في سلوكه، ويضع لبنة قوية في الصرح الحضـــاري حتى يصبح أكثر قوة ومناعة، يتحصن بداخله شاهرًا سلاح الأدب الذي صنـــع مـــن مادة المروءة والشهامة.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ... الآية﴾	٢٠٠	٢٢
آل عمران	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا... الآية﴾	١٣٧	٣٤
	﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ... الآية﴾	١٥٩	٢٦
النساء	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ... الآية﴾	١٠٥	٢٣
	﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ... الآية﴾	٥٨	٢٣
	﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ... الأية﴾	١٤١	٢٣
الأنعام	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا... الآية﴾	١١	٣٤-٣٥
الأعراف	﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا...الآية﴾	٢٠٤	٧٤
	﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً.. الآية﴾	٢٠٥	٧٥
النحل	﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ.. الآية﴾	٥-٦-٧	٣٥
	﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ... الآية﴾	١٦	٣٥
	﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ... الآية﴾	٤٣	٧٣
	﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... الآية﴾	١٢٥	٧٣
المؤمنون	﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ... الآية﴾	٢١-٢٢	٣٥
الأحزاب	﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾	٣٧	٢٢
سبأ	﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا... الآية﴾	١٩	٢٨
الزخرف	﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ... الآية﴾	١٣-١٤	٥١
النجم	﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى... الآية﴾	٣٢	٧٠
المجادلة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا.. الآية﴾	١١	٦١
الجمعة	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ... الآية﴾	١٠	٢٢
قريش	﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ. إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ... الآية﴾	١-٤	٢٩

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«إذا عرّستم فاجتنبوا الطريق...»	٥٢
«إذا قام أحدكم...»	٦٢
«إذا كنتم ثلاثة..»	٦٢
«أستودعك الله...»	٥١
«أستودع الله...»	٥١
«أنّ رسول الله لعن من جلس...»	٦٢
«إنّ مرض المسلم...»	٨٨
«إنّ من أحبكم إليّ...»	٦٩
«إياكم والجلوس على الطرقات»	٦٠
«تيامنوا»	٦٣
«ثلاث دعوات مستجابات...»	٣٥
«زر غبًا تزدد حبًا»	٨٤
«سافروا تصحوا»	٣٥
«سافروا فإنكم إن لم تغنموا مالاً...»	٣٥
«السفر قطعة من العذاب»	٥٣
«عليك بتقوى الله تعالى»	٥٧
«عليكم بالدلجة فإنّ الأرض»	٥٢
«قوموا إلى سيدكم فأنزلوه»	٦٤
«اللهم اطو له البعيد»	٥١
«اللهم بارك لأمتي في بكورها»	٣٦
«لا يحلّ لرجل أن يفرّق»	٦١

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
لا يقيمن الرجل الرجل»	٦١
«ليس الصيام من الأكل»	٢١
«ليس منا من لا يرحم»	٦٤
«ما خلّف أحد عند أهله»	٥١
«من أكل ثومًا»	٦٥
«من جلس في مجلس...»	٧٤
«من حسن إسلام المرء...»	٦٩
«من كان يؤمن بالله...»	٧٠
«من مات غريبًا...»	٣٦
«من نزل منزلاً»	٥٢
«موت الغريب شهادة»	٣٥
«يا أبان كيف تركت مكة؟»	٤٨

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ء ـ		
ولم	انثواءُ	قيس بن الخطيم	٢	٣٩
		ـ ب ـ		
إني	لأديبُ	ابن أبي كريمة	١	١٢
في	أربُ	عبدالملك بن صالح	٢	١٦
ما	أدبهْ	–	٢	١٨
إنْ	الخشبُ	–	٢	١٨
أعزُّ	كتابُ	المتنبي	١	٣٧، ٥٥
سأضربُ	غريبا	الإمام الشافعي	٢	٣٧
فإنْ	مذهبا	–	٢	٤٠
مَنْ	جوابِه	أبو تمام	٣	٧٢
لجلسةٌ	الأدبا	علي بن الجهم	٢	٧٦
إذا	غبّا	–	١	٨٤
لله	الحسب	ابن بسام الشاعر	٢	١١
كنْ	النسبِ	–	٢	١٤
وإنْ	الأدبِ	–	١	١٨
سافر	النّصبِ	الإمام الشافعي	٤	٣٣
وإذا	تغربِ	البحتري	١	٣٨
سافرْ	النصبِ	الإمام الشافعي	٥	٣٣
شيئان	بذهابِ	نفطويه	٢	٤٤
وكلٌّ	الخطبِ	قيس بن ذريح	١	٤٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وما	حبيب	المعتمر بن إياس	١	٤٥
لكلٍّ	الأدبْ	–	٢	١٥
فما	الأدبْ	–	١	١٨
جليسٌ	تجبْ	–	٢	٦٨
— ح —				
خاطرْ	قبيحُ	عروة بن الورد	١	٣٧
إذا	جناحُ	أبو الفتح الشذوني	٢	٤٢
أقيمُ	روحِ	–	٣	٤٥
حبذا	الأتراحِ	معروف الرصافي	٣	٧٨
— د —				
تبقى	تنقادُ	الأفوه الأودي	٢	٤٢
يا	الموعدُ	–	٣	٧٩
تغربْ	فوائدِ	الإمام الشافعي	٤	٣٧
وفي	كبلادي	الفرزدق	١	٤٠
أما	الأجسادِ	عمر بن أحمد	٢	٤٥
أقلل	استجدهْ	–	٢	٨٤
— ر —				
نحنُ	ينتقرُ	طرفة	١	٨
يتشو	الشجرُ	–	١	١٩
ألمْ	قبورُ	ابن دراج القسطلي	١	٣٨
لا	مصطبرُ	الحريري	٣	٤١
عدي	قصارُ	–	١	٥٤
فاذكر	صغارُ	–	١	٥٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
زُر	أستارُ	–	٢	٨٢
ومثلي	مرائرهْ	المغيرة بن جبناء	٣	٤١
وجليسٍ	خبرهْ	كشاجم	٣	٦٨
توقف	تزورُ	لبيد		٨٥
فسر	فتعذرا	عروة بن الورد	١	٣٨
جروا	بأعمارِ	الأعشى	١	٨
اصبرْ	البكرِ	سيدنا علي بن أبي طالب	١	٥٣
— س —				
أقولُ	مبلسُ	–	٢	٤٤
وكنتُ	جليسُ	–	٢	٦٢
قالوا	خَرَسِ	الفضل بن الحباب الجهمي	٤	٧٨
— ض —				
ومالي	عريضُ	–	٢	٨٣
والخصمُ	القاضي	–	١	٢٥
— ع —				
وقد	صانعُ	ذو الرّمة	٢	٤٧
يا	صنعا	علي بن الجهم	٣	٤٩
ما آب	يتبعه	ابن زريد البغدادي	٦	٤٩
اعتضت	أجرعهُ	ابن زريق البغدادي	٦	٥٠
— ف —				
ليس	كلفا	–	٢	٤٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ق ـــ		
الموتُ	يطاقُ	–	٣	٤٦
ارحل	حُرَقِ	الإمام الشافعي	٤	٤٠
ركبٌ	الساقي	أبو نواس	٢	٨١
		ـــ ك ـــ		
عليك	مسلكا	–	٢	٨٤
ونوم	الحوارك	ذو الرُّمة	٣	٨١
		ـــ ل ـــ		
تأوبني	فالرملُ	زهير	٤	٣٠
دعيني	محملُ	عروة بن الورد	٣	٣٨
صاحَ	احتملُوا	–	٥	٤٦
وما	كبولُ	–	٤	٤٨
لئن	مذللُ	–	٢	٦٤
وإذا	التحويلا	–	٢	٤١
وإذا	منزلا	محود الورّاق	١	٤٢
ولقد	سبيلا	العلوي علي بن محمد	٢	٤٥
شرق	من رجلِ	–	١	٣٧
احذرْ	فتحولِ	قيس بن خفاف البرجمي	٢	٤٠
إذا	فتحولِ	الأصمعي	١	٤١
لو	أفعلِ	جرير	١	٤٨
لعمركَ	بالفضولِ	–	٢	٧٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
تقولُ	يكسلِ	خطيم	٢	٨١
أتاهُ	الخولْ	هذيل الأشجعي	٦	٢٥
حُبُّكَ	بَدَلْ	عمر بن الوردي	٢	٤٢
وما	العالي	سهل بن هارون	١	٨٣
		ـــ م ـــ		
إنْ	النغمُ	أبو القاسم الشجري	٢	١٢
أكثرُ	النومُ	علي بن الجهم	٢	٨٠
واعتلّ	الكرمُ	–	٢	٨٨
إذا	القياماْ	–	٢	٦٤
لسانُ	تكلما	ابن حمديس	٢	٧٧
وكائن	التكلمِ	زهير	٢	٧٥
اجعل	الحكمِ	–	٢	٧٦
فراقكَ	الديَمْ	زبير بن بكار	٢	٤٣
شاقتك	خيامها	لبيد	١	٣٠
بطليح	سنامها	لبيد	٢	٣٠
		ـــ ن ـــ		
رأيت	تعنونُ	–	٣	٧٧
ألا	جنونا	–	١	٨٠
فما	جُلاسنا	–	١	٨٥
وإني	مؤتلفانِ	قيس بن الملوح	١	٤٧
إذا	يقولانِ	عبدالله بن طاهر	٢	٦٧
رأيتُ	القرينِ	الشماخ	٢	٦٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
إني	كتانِ	–	٢	٦٩
عيادةُ	بالعينِ	–	٢	٨٧
غيرتُ	السكونْ	شداد بن أوس	٢	٨٠
غريبٌ	أشجانهُ	ابن جبير	٢	٣٢
ـــ هـ ـــ				
فتن	إليها	–	٤	٢٦
إذا	وجاها	–	٤	٣٩
مرض	عليهِ	الإمام الشافعي	٢	٨٨
ـــ ي ـــ				
أي	البهيّ	الخليل بن أحمد	١	٧٦
فقام	شهيّ	أحمد بن سعد	١	٨١

موقع الدكتور مرتضى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح:

المستطرف في كل فن مستظرف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

ابن الأثير، المبارك بن محمد:

النهاية في غريب الحديث والأثر، القاهرة، ١٣١١هـ.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوانه، تحقيق: فوزي علوي، دار صادر، بيروت ١٩٨٠م.

أمين، أحمد:

كتاب الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م

البحتري، الوليد بن عبادة الطائي:

ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، بحاشية السندي، طبعة البابي الحلبي، مصر، د.ت.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة:

جامع الترمذي، تحقيق: احمد شاكر، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

- ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الحماسة، تحقيق: د. عبد الله عسيلان، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

www.mtenback.com

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن محبوب:

المحاسن والأضداد، مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

الجرجاني، الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني:

التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م.

جرير بن عطية:

ديوان جرير، شرح: د. نعمان طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله:

المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الحريري، القاسم بن علي:

مقامات الحريري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، طبعة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

الحصري، إبراهيم بن علي:

زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤١٩هـ.

ابن حمديس، عبد الجبار بن أبي بكر:

ديوانه، دار بيروت، بيروت.

ابن حنبل، أبو عبد الله بن محمد الشيباني:

مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:

تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م.

www.mtenback.com

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني:

سنن أبي داود، دار الحديث، حمص، ط١، ١٣٨٤هـ.

ابن دراج القسطلي:

ديوانه، تحقيق: دكتور محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

ذو الرمة، غيلان بن عقبة:

ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الرافعي، مصطفى صادق:

كتاب تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٧٤م.

الرصافي، معروف:

ديوان الرصافي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٩٥٧م.

الزهاوي، إسحاق بن علي:

أدب الطبيب، تحقيق: د. مريزن عسيري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ

زهير، بن أبي سلمى:

ديوانه، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

السويداء، عبد الرحمن:

شذرات لامعة، الرياض، دار السويداء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٦م

www.mtenback.com

الشافعي، الإمام محمد بن إدريس:

ديوان الإمام الشافعي، جمع محمد عفيف الزغبي، مؤسسة الزغبي بيروت: الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

الشماخ بن ضرار الذبياني:

ديوانه، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعار، مصر، د.ت.

الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف:

الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، بلا تاريخ.

الصنعاني، محمد إسماعيل الأمير:

سبل السلام شرح بلوغ المرام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

الضبي: المفضل بن محمد بن يعلى:

ديوان المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف ط ٧، ١٩٦٤م.

ضيف، شوقي:

العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٦٠م.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد:

المعجم الكبير حفظ حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الشؤون الدينية، بغداد، العراق، ط٢، ١٩٨٠م.

طرفة بن العبد، أبو عمر:

ديوانه، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

www.mtenback.com

الطريقي، ناصر عقيل:

القضاء ونظامه، في عهد عمر بن الخطاب، دار المدني، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف:

بهجة الجالس وأُنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، تحقيق: محمد مرسي الخولي ود. عبد القادر القط، القسم الأول، ١٩٦٢م.

ابن عبد ربه الأندلسي:

العقد الفريد، شرح: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

عروة بن الورد، أبو نجد بن زياد:

ديوانه، المطبعة الوهبية، ١٢٩٣هـ.

علي بن الجهم:

ديوانه، تحقيق: خليل مردم، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

أبو فارس، محمد عبد القادر:

القضاء في الإسلام، مكتبة الأقصى، عمان، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الفرزدق، همام بن غالب:

ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

www.mtenback.com

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم:

كتاب الأمالي، دار الكتب، القاهرة، ط٢ن ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م.

ابن قتيبة، أبو عبدالله محمد بن مسلم:

عيون الأخبار، مطبعة دار الكتاب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.

قيس بن الخطيم:

ديوانه، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب:

مدارج السالكين شرح منازل السائرين، دهلي، مطبعة الأنصاري، ١٣١١هـ.

كشاجم، أبو الفتح محمد بن الحسين:

ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٣١٣هـ.

لبيد بن ربيعة:

الديوان، تحقيق: إحسان عباس، الكويت ١٩٩٢م.

الماوردي، علي بن محمد:

أدب الدنيا والدين، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.

مبيض، محمد سعيد:

الآداب الاجتماعية في الإسلام، طبع الشؤون الدينية، قطر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

www.mtenback.com

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين:

ديوانه، وضع: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

مجنون ليلى، قيس بن الملوح:

ديوانه، دار الكتاب العربي، بيروت.

مسلم بن الحجاج القشير:

صحيح مسلم، تحقيق: محمود فؤاد عبد الباقي، الرئاسة العامة للبحوث، العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، د.ت.

المقدسي، عبد الله بن محمد بن مفلح:

الآداب الشرعية، حققه شعيب الأرناؤوط وعمر الخيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ.

ابن المقفع، عبد الله:

آثار ابن المقفع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ١٩٧٨م.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي:

الترغيب والترهيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٨١م.

موافي، عثمان:

لون من أدب الرحلات، الإسكندرية، أبريل ١٩٧٣م.

أبو نواس، الحسن بن هانئ:

ديوان أبي نواس، دار بيروت ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com